فلسطين عروس عروبتكم

سقوط بغداد.. أم سقوطنا..

obeikandl.com

obeikandl.com

لم تكن ضربة المعول الأخيرة هي التي أسقطت الشجرة الهائلة .. إنما كانت الشجرة منذ البداية آيلة للسقوط، بعد أن جفت الجذور، ونخر السوس الجذع، ولم يبق منها إلا هيكل عريق محنط لأغصان وأشكال ثمار تحمل من الموت أكثر مما تحمل من الحياة.

وكلنا .. كلنا .. كلنا ساهمنا في ذلك، من كان يستطيع أن يمنع فلم يمنع، ومن كان يستطيع أن يعالج فما عالج، ومن كان يستطيع أن يستشهد فغلبته شقوته ووهنه.

نعم ..

لم تسقط الشجرة فجأة، مالت قبل أن تسقط، وقبل ضربة أي معول.

لم تسقط بغداد تلكما الدبابتان البائستان اللتان رأيناهما مترددتين في منتصف الطريق على معبر، ولم تجرؤا حتى على عبوره .. وكانت هذه القوة فقط هي آخر مشهد شاهده العالم قبل انهيار عاصمة الدنيا وحاضرة العالم مدينة السلام.

ولم تسقط بغداد فجأة، كانت قد انهزمت قبل أن تسقط، وقبل هجوم تيكما الدبابتين البائستين.

***

انسحقت بين يقيني من الهزيمة ويقيني بإمكانية الانتصار .. انتصار تحمل الآن بوادر تمكينه المقاومة العراقية البطلة.

تلك المقاومة التي أخجل والله من تقريظها وتشجيعها أو الإشادة بها، فهذه المناومة هي التي تحكم علينا ولسنا نحن الذين نحكم عليها .. نعم .. أخجل من عجزنا وتقصيرنا .. وأخجل من أن يقرظ الأقزام العمالقة .. ولا أملك إلا الدعاء لهم بالسداد وبالنصر، مقررا أن يوما يمر دون قتل خنزير أمريكي هو يوم أسود على أمتهم العاجزة .. أو بالأحرى أشد سوادا ..

ولم يكن ما بي جزع بل غضب من أمة عاجزة.

نعم .. غضب جامح هائل لا يعرف الغفران .. ولست مستعدا أن أرشو مشاعر القارئ لأحدثه عن المبشرات، قبل أن أوضح بمنتهى الصرامة والجلاء آليات الهزيمة الكامنة فينا. كنت أرقب صراخ المتشنجين تأييدا للعراق، كانوا يطمئنون الأمة، بأن بغداد لن تسقط أبدا، وأن الأرض ستنفجر في وجه الأمريكان، وأن الهواء سيشتعل وأن غضبة الشارع العربي ستزلزل القلوب والأقدام، وأننا لن نسمح .. ولن نستكين

.. وأن الخليج ثائر لا فاجر .. وأن المحيط هادر لا غادر .. وأن العرب لـن .. ولـن .. ولن .. ولن ..

وسقطت بغداد ..

فانظر إليهم ماذا يفعلون الآن .. ؟ ..

لا شيء ..

سوي انتظار النادبات لرثاء مُلك آخر ..

تذكروا يا قراء ما كتبته في هذا المكان منذ عامين .. حين كتبت أنني لو كنت مكان بوش وشارون لشجعت القوميين وايساريين في العالم العربي .. ذلك أن القوى الموجودة الآن ثلاث: قوة الأمة العاجزة المقيدة المقموعة وهذه تصب في مجرى الإسلام، وقوة الخونة والعملاء المباشرين من عملاء العرب والصهاينة، وهؤلاء بالطبع هم الأقرب إلى قلب شارون وبوش لولا أنهم لا يضمنون رد فعل الأمة لو أطلقوا لهم العنان (انظروا مثلا رد فعل الفلسطينيين تجاه الهائي محمود عباس، أو رد فعل العراقيين تجاه مجلس الحكم العميل) .. إذن فالأنسب لبوش وشارون أن يظل الحكام الخونة كما هم، وأن يطلق الحبل على الغارب للشيوعيين والحداثيين والقوميين، ليمثلوا دور الأحزاب الحاكمة والمعارضة جميعا، وليسيطروا على وسائل الإعلام والتعليم والثقافة، لا كطرف أصيل في المعادلة، وإنما كممثل بديل « دوبلير» يقوم بالدور الخطر حتى يعود الممثل الأصلي للقيام بدوره.

الشيوعيون والحداثيون يقومون بدور الخيانة هذا بوعي كامل ويقبضون ثمن خياناتهم عدا ونقدا ..

القوميون بعضهم لا يرتدي رداء القومية إلا ليخفي عورة إلحاده، أولئك ينتمون إلى القسم السابق، والباقي منهم أحمق، لأنه يقوم بدور «الدوبلير»، ويواصل القيام به حتى الموت، دون أي حق في أجر، ودون أي أمل في انتصار، خسروا الدنيا والآخرة.

***

تذكروا أيضا يا قراء أنني كتبت لكم في هذا المكان منذ أعوام أنني أتوقع أن يشجع الغرب الشيعة ضد السنة، والصوفية ضد أهل السنة والجماعة، لا انتصارا لهذا ضد ذاك .. وإنما لمجرد الترتيب في طابور الذبح.

شكر الله سعيكم ..

أستغفر الله ..

بل شكر الشيطان سعيكم يا كل من نحيتم راية الإسلام ..

شكر الشيطان سعيكم يا كل من ضرب بمعاوله في المرجعية الإسلامية ..

لا يقاتل اليوم إلا الإسلام ..

الشيوعيون عادوا إلى رحم أمهم الأولى: اليهودية والصهيونية ..

والقوميون أيضا عادوا إلى رحم أمهم: الصليبية والمسيحية الغربية ..

وبقي الإسلام وحده يحارب.

***

شكر الشيطان سعيهم ..

أعدوا العدة كي يشكر الشيطان سعيكم على كل دولة عربية دولة بعد دولة ثم على كل دولة إسلامية، ونحن نكتفي بالتهديد: دع سمائي فسمائي محرقة، لكن سماواتنا - تحت رايات الشيوعيين والقوميين - لم تحرق أعداءنا، بل تحرقنا نحن، منذ مائتي عام على الأقل.

***

سقطت بغداد .. ولكي تسقط كان الوحش الأمريكي المتلمظ يخطط ويقدر ويدبر منذ ثلاثين عاما على الأقل، منذ عام ٧٣ وحظر البترول، ساعتها أخرجت أمريكا الخطة إلى حيز التنفيذ، لم تختلقها أيامها، فقط أخرجتها إلى حيز التنفيذ، ومن يومها، وكل الدول العربية تتصرف في أرخص أدوار الكومبارس، منفذة تعاليم المخرج الأمريكي، دافعة بالأمور إلى ما وصلت إليه.

***

من المؤكد أن أمريكا قبل أن تهاجم العراق كانت قد أمنت لنفسها عشرات الضباط الخونة، ومئات المسئولين، وآلاف الكتاب والمفكرين. كانت أمريكا قد استولت على العراق حتى قبل أن تطلق قذيفة واحدة. ولم يكن ينقص السقوط إلا الإعلان ..

فهل تظنون يا قراء أن وضع أي بلد عربي أو إسلامي يختلف عن وضع بغداد قبل

إعلان السقوط؟ .. هل تظنون أن النخبة في كل عالمنا العربي لم تتأمرك، وتتغرب، وتخن؟

هل تشكون يا قراء أن القاهرة والرياض ودمشق تحتاج لأكثر من ست دبابات لغزوها؟! .. دبابتين لكل عاصمة .. نعم .. دبابتنا تروحان وتجيئان في تردد على معبر .. ليسقط بعدها كل شيء ..

هل تشكون في أن أمريكا قد رتبت أمورها منذ زمان طويل مع قادة جيوشنا ولواءات شرطتنا ورؤساء صحفنا وزعماء أحزابنا، نعم، رتب الغرب بقيادة أمريكا أموره منذ زمان طويل، والحسابات السرية بالملايين بل والمليارات قد أودعت، لا من أموال الغرب بل من أموالنا.

أودعت ..

والاتفاقات أبرمت ..

والخيانات تمت ..

والعواصم بيعت ..

ودبابتان كافيتان لاحتلال أكبر عواصمنا ..

هل قلت دبابتين؟؟

لا والله ..

وما أظن الدبابتين ظهرتا إلا لأغراض التصوير .. أما استسلام العواصم فلم يكن يحتاج إلا أمر السيد للعبد: اركع .. فيركع ..

والعبد هذا .. مولانا وسيدنا وحاكمنا ..

وهو مهما بلغ جبروته وطغيانه ليس سوى عبد ..

وهل تفهمون الآن يا ناس أن توريث السلطة ليس مجرد انحراف بالسلطة ولا هو إجرام حاكم هنا أو ابن هناك، والأمر لا يمكن أن يكون بعيدا عن تخطيط الموساد والـCIA والشيطان، ولسنا الآن بصدد دراسة ذلك، لكنني أقرر هنا أن درجة الخيانة التي أصبحت تتطلبها أمريكا من الحكام أصبحت تشكل درجة من الغواية لأي حاكم لاحق، درجة غواية لا يمكن لهذا الحاكم اللاحق مقاومتها، درجة غواية ستدفعه لفضح خيانة سلفه، وهذه الغواية لا يمكن مقاومتها وتلافي تداعياتها الخطرة إلا بتوريث السلطة ليظل السر مطويا عن الناس.

نعم يا قراء ..

الخيانة تمت .. وما من حكومة في عالمنا الإسلامي وما من دولة وما من حاكم تستطيع الصمود لدبابتين .. مجرد دبابتين ..

الناس فقط .. الفقراء العزل الذين لم يستول الشيطان على قلوبهم وأرواحهم هم الذين يفتكون بالدبابات الأمريكية والإسرائيلية والروسية والهندية والفليبينية و.. و.. و..

هل تلاحظون يا ناس ذلك الوضع المعجز المذهل المتناقض .. فكلما ازداد تسليح جيش من جيوش عالمنا الإسلامي كلما ازداد عجزه، وكلما ازداد عدده ازداد ضعفه، وأن البلاد الوحيدة التي أبلت فيها الشعوب بلاء حسنا هو حيث لا توجد دولة ولا جيش أو يكاد ..

شعب فلسطين يقاوم .. لأنه لا حكومة ولا جيش .. شعب لبنان يقاوم وينتصر .. لأنه لا حكومة قوية ولا جيشا حقيقيا .. شعب العراق سينتصر إن شاء الله .. لأنه لا حكومة ولا جيش .. فهل أدركتم الآن يا ناس وظيفة حكوماتنا وشرطتنا وجيوشنا؟ ..

***

كل السلاح صدئ في مواقعه، وسلاح الحكومات والعملات لم يطلق طلقة .. ولم يحارب .. والإيمان هو الذي حارب.

تأملوا يا ناس وانظري أمة إلى ساحة الصراع الآن بعد مائتي عام من محاربة الدولة للدين ..

بعد مائتي عام.

فانظروا ما تروا ..

مبارك العلماني في مواجهة بوش اللاهوتي ..

عبدالله البراجماتي في مواجهة رامسيفيلد الإنجيلي ..

فاروق حسني، الشاذ فكريا، ولوحاته العارية الشاذة في مواجهة وزير العدل الأمريكي المتزمت الذي أمر بتغطية تمثال جرح دينه وحياءه يقع في الطريق بين منزله ومكتبه ..

الشيخ طنطاوي الموظف في مواجهة بابا يحرك التنصير والتبشير في أربعة أركان المعمورة ..

تخلوا عن الإيمان تقليدا للغرب أو مجاملة أو استسلاما .. فعاد الغرب إلى الأسطورة باسم الدين.

***

يا لها من مأساة أن الحكام الكبار للدول العربية الكبرى يقومون الآن، بل قاموا بدور الخديوي توفيق.

***

لابد أن نعترف أن الشفاه المخمورة والأيدي الدنسة لن تحرر بلادنا وأبدا لن تنتصر. لن يقودنا إلى النصر سوى الأيدي المتوضئة، فالإسلام هو السبيل وهو الوطنية وهو القومية وهو الثورة وهو الحرية وهو التفوق على سائر العالمين، لم نشعر بعز إلا في ظله ولن نتخلص من الذل إلا بالعودة إليه.

يترتب على هذا – وتذكري يا أمة – أن كل من لمز الإسلام خائن عميل ليس على المستوى الديني فقط، وإنما هو خائن على مستوى الوطنية والقومية.

يترتب على هذا وتذكري يا أمة أن كل من نسب الإرهاب إلى الإسلام إنما كان صوت سادته اليهود والصليبيين .. وكان خائنا للدين وللأمة وللوطن والقومية.

يترتب على هذا وتذكري يا أمة أن كل من روج لمصطلحات الغرب، وجعل مما يدعي زورا أنه الديمقراطية، جعل منها دينا يحبُ الإسلام، أو نادي بالعلمانية أو الحداثة أو دعاوى التزوير التي يسمونها زورا بالتنوير، كل أولئك كان الطابور الخامس الذي غزت به أمريكا بلادنا بلدا قبل بلد ..

***

منذ أيام كان أحد المعلقين يتحدث عن مسؤول فلسطيني كبير باع كل شيء فقل: لم يعد ينقص ذلك المسؤول سوى أن يعن تحوله من البهائية إلى اليهودية.

وقلت لنفسي في ألم لا يوصف: هذا التعليق بحذافيره، ألا ينطبق على جل ولاة أمورنا؟!.

***

نعم .. سقطت بغداد .. وكان سقوطها مدويا .. لا لأنها كانت الأضعف .. ولا لأن الخيانة فيها كانت الأكثر .. وإنما كان دوي السقوط لأنها – بغض النظر عن كل

شيء – كانت هي الوحيدة التي قاومت .. أما نحن فقد سقطنا جميعا منذ زمان طويل .. استسلمنا في صمت دون صوت .. وكان ولاة أمورنا يستمتعون بالخيانة ..

***

لطالما تساءلنا: ألا يوجد من ولاة أمورنا من يخجل من نفسه ويستقيل ..

ولقد استبدت بنا الدهشة وعزت علينا الإجابة رغم أنها واضحة ومنطقية وبديهية وبسيطة:

قد يستقيل الحكام أو يعزلون أو يتقاعدون، لكن رؤساء العصابات واللصوص لا يستقيلون .. إنهم يسجنون أو يقتلون ..

***

غسيل الأفكار .. !! ..

قَبِلها رواد التنوير (التزوير) من عادل إمام، ولولا ذلك والله لرفضوها، ولو كانت من أعدل إمام ..

بعدها بأيام أيضا ألمحت بها إحدى الفنانات التائبات، تلميحا إلى التصريح أقرب، وكان فحوى القولين، أن الفنانات يتعرضن قبل أن يقبلن في مجتمع نخبة الفن، يتعرضن لمحنة بيع شرفهن .. مقابل الاعتراف والثروة والشهرة والمجد ..

***

دعونا من الخوض في ذلك الآن، لكنني أقول لكم، أنه يبدو أن نفس الشيء ينطبق على المثقفين .. !! وأنهم – حتى بدون اضطرار بل بمحبة وتلهف ورغبة – يبيعون شرفهم قبل أن تعتمدهم السلطة مثقفين.

لذلك أحذر القراء أن يصدقوا بيانات المثقفين المتهاطلة من مؤتمراتهم التي تعقد هنا وهناك بحجة محاولة الخروج من المأزق العربي، لكنني في نفس الوقت أحذرهم من تصديق البيانات المضادة التي يصدرها البعض الآخر منهم، فهذه وتلك ليست إلا اشتباكات محدودة ومحكومة تدور بين أطراف تحالف شمالي يعيش بين ظهرانينا، تحالف شمالي أجاد الدكتور عصام الطاهر (ولم أقل المثقف، فقد أصبحت أنكص عن إلحاقها بأي شريف) .. أجاد التعبير عنه في مقال منشور له منذ شهور، وبغض النظر عن مناسبة المقال فإنه يصلح توصيفا لحال المثقفين العرب أمس واليوم وغدا، وانظر

إليه إذ يقول (.. إنهم يهدفون من توقيعهم علي البيان إلى لفت أنظار الذين استخدموا الدكتور (سعد الدين إبراهيم) بأنهم جاهزون لأن يؤدوا من المهام مثل تلك التي كان يؤديها .. وهنا كان الجانب الذكي من إصدارهم للبيان وظهور أسمائهم عليه. وأنني أطمئن وابشر تلك المجموعة من الموقعين الذين ما زالوا في أعمال يتعيشون منها ويريدون أن يطمئنوا بأن في نشر أسمائهم في البيان الذي نشرته القدس العربي كاملا أن رسالتهم وصلت للجهات المعنية التي ستعتبر التوقيع علي البيان في مقام التقدم بطلب عمل سيكون تحت نظر من يهمهم الأمر في دوائر الاستخدام المنتشرة في الغرب وفي أمريكا علي وجه الخصوص والتي من المؤكد أنها ستحتفظ بأسماء الموقعين علي البيان للرجوع إليها عند اللزوم ..).

***

هذه هي الحكاية بالضبط، لخصها الدكتور عصام الطاهر بسلاسة تثبت أن البساطة عملية عبقرية بالغة التعقيد. فخلاصة كل المؤتمرات الثقافية الآن، وبياناتها، والبيانات المضادة لبياناتها، لا يعدو تقديم طلبات ستخدام وتوظيف .. ولفت نظر أولى الأمر إلى وجود المستعدين لتقديم كل أنواع الخدمة. !!

***

لا يقتصر مقالي هذا على المؤتمر الذي عقد في القاهرة مؤخرا، بدعوة من وزارة الثقافة المصرية، وبإدارة – لا أدري كنهها ولا سببها – من وزير الأوقاف الذي نفى (يكاد المريب يقول خذوني ..) وجود تعليمات لمصر من قوى خارجية تطالب بعقد مثل هذا المؤتمر. وتساءل أحد أستذة الجامعة الذي لم يبتلوا بمحنة التنوير وتنازلاته عن توقيت عقد هذا المؤتمر، معتبرا أن الدعوة سياسية لا ثقفية، وكلمة حق لا يراد بها حق.

الكارثة، أن المؤتمر تجاهل أي صوت ديني حقيقي، وكان من أكبر ضيوفه أدونيس وحجازي (لست أدري لماذا أغفلوا فريدمان وروس).

كان من ضيوف المؤتمر أيضا الدكتور جمال البنا، وهو وإن كان شقيقا للإمام الشهيد حسن البنا – رضي الله عنه – إلا أنه ليس من أهله.

***

لا يقتصر مقالي أيضا على البيان المضاد، الذي أصدرته مجموعة أخري من المثقفين، تهاجم بيان المجموعة الأولى. فالخلافات الناشبة بين هؤلاء وأولئك لا تعنينا

في شيء، لأنها مجرد تنافس بين فئتين: الفئة الأولى منها منتشية بالنصر الأمريكي الحاسم، وتري أنها قد أدت كل المطلوب منها في سبيل تحقيق هذا النصر على أمتها، وأنها تستحق الجزاء الموعود. أما الفئة الثانية، فهي فئة تراهن على أن الفئة الأولى قد احترقت تماما، كالمعارضة العراقية وكالجاسوس عندما يكتشف أمره، وأنها مثلهما لن تحصل على أي ثمن، لأن الذي سيحصل على هذا الثمن، هو تلك الفئات من المثقفين، التي ما زال لديها ما تبيعه، وما زالت تمثل على مجتمعاتها أدوار الدفاع عن الهوية، بينما هم موظفون منذ عشرات الأعوام، لصالح الغازي وثقافته، وضد الإسلام.

مثقفو هذه الفئة الأخيرة، أشد خطورة ممن اكتشفوا، لأنهم يمثلون دور الدفاع عن الأمة، بينما هم الطابور الخامس، والسوس الذي ينخر في جسدها.

هذه الفئة الأخيرة من المثقفين، فئة عالية الصوت، متشنجة في ادعاء الدفاع عن لأمة، تضارع في ذلك العملاء الذين سلموا بغداد، ومن المؤكد أنهم كانوا أعلى لجميع صوتا في التغني بالوطنية والجهاد!! ..

خطورة هذه الفئة تكمن في أنها لا تقدم أفكارها مباشرة للناس، بل تمارس عليها عملية أشبه بعمليات غسيل الأموال .. عملية نسميها إن جازت التسمية: «غسيل الأفكار».

***

وغسيل الأفكار الذي يمارسونه لا يقل خطورة عن غسيل الأموال الذي يمارسه اللص السارق وولى الأمر المارق، بل يزيد، ثم إن هذا مرتبط بذاك، مرتبط به ذلك الارتباط الذي لا يمكن أن تتم به جريمة المثقف دون جريمة اللص، ولا جريمة اللص دون جريمة المثقف، فذلك النوع من الجرائم كجريمة الزنا، لا يمكن أن تتم إلا بطرفين ..

نعم ..

بطرفين ..

على الأقل .. !! ..

***

و كارثة أخرى ..

ما التأم الجرح، وما توقف النزيف، ولا نجا من الغرق الغريق ..

ما انتهت العاصفة ولا انطفأ الحريق ..

ما زلت أختنق ..

نعم .. أختنق .. وفي ذهول كارثة لم تكن أبدا مفاجئة، حيث لم نكف عن التحذير منها منذ مائتي عام .. سقطت بغداد .. وسقطنا قبلها ..

أما توابع السقوط فليست أقل إيلاما من السقوط نفسه.

***

آخر تلك التوابع تتعلق بقلعة كان اسمها مجمع البحوث الإسلامية التابع للجامع الأزهر ..

الأزهر ..

الأزهر .. جماع عقل الأمة .. ووجدانها .. وعقيدتها التي هي كل حياتها ومماتها ودنياها وآخرتها ..

الأزهر .. أهم معاقل الإسلام التي تصدت طويلاً لعمالة الحكام وخيانات المثقفين وواجه في نفس الوقت قوى الاحتلال الأجنبية المعتدية .. وحافظ للأمة على إحساسها بالسمو العقدي والفكري والتميز على الدنيا كلها حتى لو هزمنا في المعارك .. وهو ما لم يغفره الصليبيون لنا أبدا .. ويحاولون رده الآن إلينا ذلا ومهانة ..

***

أدرك نابليون بونابرت قيمة الأزهر وحجم تأثيره، يذكر المؤرخ ج. كريستوفر هيرولد قول بونابرت في منفاه أن: « الأزهر، هو المركز الوحيد الذي يستطيع أن يضرب للناس المثل فيقتدي به الرأي العام في العالم الإسلامي».

كما كان بونابرت يشكو من المواعظ العدائية التي يلقيها الأئمة في المساجد في صلاة الجمعة، وكتب لكليبر يقول: «علينا أن نهدهد التعصب حتى ينام قبل أن نستطيع اقتلاعه».

***

عجز نابليون ..

لكن حكامنا النشامى ومثقفينا الأشاوس استطاعوا النجاح فيما فشل فيه نابليون ..

دمروا الأزهر.

***

لقد أدرك نابليون ـ ومن بعده بوش مرورا بآلاف الخنازير ـ أهمية الأزهر وقدرته على إفشال مخططاتهم في ميدان الاختراق الثقافي والعسكري، فبينما كان قادة الحملة الفرنسية يعتقدون أنهم قضوا تماماً على المقاومة الشعبية فوجئوا بثورة شعبية يقودها الأزهر يوم الأحد ٢١ أكتوبر ١٧٩٨م، يرجعها هيرولد إلى ما يسميه « تحريض المتعصبين من الزعماء الدينيين، كما كانت فرمانات السلطان سليم التي تدعو جميع المسلمين إلى الجهاد ضد الفرنسيين ـ تدخل مصر ويقرؤها الأئمة علناً في المساجد .. كما كان المؤذنون يحضون الناس على الثورة ـ من قمم المآذن ـ خمس مرات في اليوم»، أما العناصر المجاهدة حقاً فهم الغلاة في الدين كالأئمة وطلاب الأزهر، وقد علق على هذا الحادث بعد ذلك بعشرين عاماً بقوله: (كانوا قوماً ذوي تفكير عنيف متطرف).

عنيف متطرف ..

حكامنا وغلمانهم المثقفون– وليس الغزاة – هم الذين يتهمون الأزهر الآن بذلك ..

ما فشل فيه نابليون تماما نجح فيه البريطانيون بعد ذلك بشكل جزئي، حين تكفل المقسيس دنلوب بتجفيف منابع الأزهر.

إلا أن النصر الحاسم على الأزهر لم يتم إلا في عهد حكامنا الوطنيين والقوميين.

***

هذا الغرب لا يعبث أبدا ولا يهزل ولا ينسى غاياته .. كما أنه يعود دائما إلى مشروعاته التي فشل في إكمالها فيحاول المرة تلو المرة إلى أن ينجح ... ولشد ما هو مرير ومذهل أن نجد وكيلا من وكلاء الغرب ينجح فيما فشل فيه نابليون منذ أكثر من قرنين .. ولحساب الغرب وليس لحسابنا.

***

ولقد ظل الأزهر يتدهور باضطراد حتى ثلاثة أعوام مضت، حين حدث موقف مفاجئ بدا وكأنه خارج سياق الانهيار وعكسه، موقف حمل من علامات الصحوة ما يبث الرعب في قلوب أعداء الله والأمة في الداخل والخارج .. ألا وهو موقفه في قضية رواية: « وليمة لأعشاب البحر» .. حيث واجه السلطة للمرة الأولى منذ عقود

مواجهة سافرة حاسمة لا تعرف في الحق لومة لائم.

ويومها .. أدركت والله يا قراء أن الأعداء لن يتركوا لنا في الضريم جذوة، وأنهم سيتصرفون كما كان الطاغوت الأمريكي يتصرف في سماء العراق، فإذا وجد أي دليل على احتمال وجود القدرة على المقاومة – احتمال القدرة وليس القدرة نفسها ولا الشروع في المقاومة – قصفها على الفور.

***

كان جوهر موقف الأزهر في قضية الوليمة قدرته على التصدي للغزو الفكري المدمر للأمة وإدانته، وفي نفس الوقت القدرة على مواجهة ارتدين بسلطته المعنوية فقط، دون أي قوة مادية تساندها.

***

رصدت رادارات الأعداء الموقعين المشتبهين .. وتقرر قصفهما ..

قصف الموقع الأول منذ شهور حينما قرر مجمع البحوث الإسلامية تجميد حد الردة، رغم أنه لم يكن يطبق في أي بلد في العالم، ولم تبق منه إلا قيمة معنوية محاصرة، شكلت بالنسبة لأعداء الله سلاح دمار شامل، أعداء الله الذين لا يكفون عن إقامة حد الإيمان علينا (أو سموه حدّ الأخدود) .. يقيمونه على كل من يشتبه فيه أنه يقاوم غزوهم .. وبمجرد الاشتباه .. يتم السحق !!.

الموقع الثاني قصف منذ أيام حين قرر نفس المجمع التخلي عن مصادرة الكتب المخالفة للشريعة بل لقد تاب عن مواقفه السابقة « لأن الأزهر كان يقدم فرصة لمثل هؤلاء المؤلفين لترويج كتبهم .. !!».

وكانت هذه هي ذات حجج العلمانيين التي طالما ندد بها الأزهر قبل ذلك.

رحت أسترجع قائلا:

– لم يبق إلا أن يغير الأزهر اسم الدرجة العلمية التي يمنحها، من: « الشهادة العالمية» إلى: «الشهادة العلمانية»!!

– ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

دين حكامنا ..!!

نداء إلى شعبنا العربي في مصر والجزيرة:

من يأبى الاستشهاد بالرصاص مأجورا ..

سيموت بالسياط والنعال مأزورا ..

هذا نداء أوجهه إلى شعبنا العربي في الجزيرة العربية .. اصبروا وواجهوا رحمكم الله فأنتم البقية الباقية التي تحمل ميراث النبوة ..

اصبروا واصمدوا وواجهوا رحمكم الله فأنتم اليوم في وضع الإمام أحمد بن حنبل .. لا يباح لكم رخصة في المواجهة ولا تقية فأنتم بالنسبة لأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله بمثابة العالِم الذي يزلّ بزلّته عالَم ..

يا أهلنا في جزيرة العرب: دعونا نسمي الأشياء بمسمياتها:

ليس ثمة تثريب علينا في ممارسة الإرهاب بمعناه الإسلامي لكي نرهب به أعداء الله ..

وليس هناك في الإسلام متطرفون وإنما هناك مستمسكون بالعروة الوثقى ولا ينفي هذا أن كل ابن آدم خطاء ..

ليس هناك متطرفون بل هناك حكام مرتدون يريدون أن يضيعوا الإسلام وأهله مرضاة لسادتهم .. وتثبيتا لدعائم ملك لم تعد تمسك بأطرافه المتهاوية إلا الردة والعمالة للكفار ..

يا أهلنا في الجزيرة ..

إنكم تمرون الآن بما مر به إخوتكم في مصر منذ خمسين عاما .. حين تعرضت مرجعية الإسلام للاغتيال .. فعُمّ على الأمة .. ترددت نخبتها .. وخان بعض علمائها مالئوا الطواغيت تماما كما يحدث عندكم الآن .. فخاف الأغلبون أن يقتلوا – شهداء – بالرصاص .. وكانت النتيجة عندنا – وستكون عندكم – أن ماتوا ويموتون حتى

الآن بالسياط والاعتقالات وقد نحي الإسلام عن المرجعية تماما تماما ..

رفضوا الموت مأجورين فماتوا مأزورين ..

رفضوا ميتة العز والفخار فماتوا ميتة الخزي والعار ..

يا علماءنا في الجزيرة: إن الأرض عطشانة إلى دماء عالم شهيد يقف للسلطان الجائر

يا علماءنا في الجزيرة إن: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة) ..

ويا علماءنا في الجزيرة: عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول اللّه متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «**إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم**» قلنا يا رسول اللّه وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «**الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالكم**».

يا أهلنا وعلماءنا في الجزيرة إنكم الآن من الأمة بمثابة الإمام أحمد بن حنبل في المحنة فإذا ثبتم أنقذتم الأمة وإذا استسلمتم هلكت الأمة .. وما أقول لكم إلا ما قاله الأعرابي للإمام أحمد: يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة وان كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل وإنك إن لم تقتل تمت وإن عشت عشت حميدا ..

يا أهلنا في الجزيرة فلتطلبوا من طواغيتكم أن يأتوكم بآية من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجيبوهم إليها.

و يا علماءنا في الجزيرة: لقد سئل الشهيد سيد قطب لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟ فقال: لأن التورية لا تجوز في العقيدة، ولأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص.

واجهوا الطاغوت ..

والطاغوت الآن لا يهدف إلا ترويضكم ترويض النخاس للعبيد .. وحتى إذا كانت ثمة أخطاء من بعضكم فما يرفع طواغيتكم إلا كلمة حق يراد بها باطل .. إن كانت كلمة حق ..

أما إلى شعبنا في مصر فإنني أحذر مما تردده الأنباء عن إكمال السيطرة الكاملة على

خطبة الجمعة ..

نعرف أن خطبة الجمعة تم السيطرة على ٩٠٪ منها .. وأن الطاغوت المجرم العميل يتسلل إلى دمائنا لا لكي يقرب الناس إلى الدين بل لكي ينفرهم منه .. والخطبة الآن تكرس لمحاربة صحيح الدين لا لمحاربة البدع ..

يا أهل مصر: تدخل أكثر من هذا في خطبة الجمعة سيعني أنها تكتب بقلم قسيس وحاخام وضابط مخابرات .. وعلى خطباء المساجد في مصر أن يتخذوا موقفا جماعيا حتى ولو ماتوا شهداء دونه ..

يا أهل مصر: إن التوقف عن أداء صلاة الجمعة مرة واحدة سوف يقتل طواغيت الردة في جحورهم .. وقصورهم .. فتمسكوا بالعروة الوثقى حفظكم الله وحفظ بكم الإسلام.

***

نعم ..

لا مناص من تساؤل تأخر كثيرا .. تساؤل علينا أن نوجهه لأنفسنا ولحكامنا ..

ولننس لدقائق قليلة كل ما فهمناه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسير الراشدين وفقه الأئمة ودروس التاريخ، ولنطلب من حكامنا طلبا واحدا، وهو أن يقولوا لنا ما هو مفهومهم عن الإسلام الذي يريدون منا أن نعتنقه ونمارسه؟! .. وما هو نوع العبادة التي يمكن أن نمارسها، والجهاد الذي يمكن أن نجاهده دون أن نعكر صفو حكامنا أو أن نكدر أجهزة أمنهم. بل هل الجهاد نفسه وارد؟ هل اعتبار الحلال والحرام واردًا؟ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وارد؟.

***

المطلب ذاته مطلوب من نخب المثقفين، من مثقفي السلطة، من مثقف أمن الدولة، كما أنه مطلوب من ضابط أمن الدولة وضابط الحرس الوطني، ورئيس تحرير صحيفتنا القومية، ومن مدير إذاعتنا ورئيس تلفازنا، ومطلوب من وزراء داخليتنا، أصحاب الاجتماعات الوحيدة الناجحة في العالم العربي، مطلوب منهم أن يصلوا إلى قرار شامل جامع مانع يقولون لنا فيه ما هو مفهومهم عن الإسلام الذي إن مارسناه لا يعدوننا إرهابيين، أو ظلاميين متخلفين .. وأن يشفعوا إجابتهم تلك بالمراجع التي

نرجع إليها، وهل تتضمن تلك المراجع من وجهة نظرهم كتاب الله وسنة رسوله؟ ..

أم أن ذلك سيكون من المحرمات (تعتبر مباحث أمن الأنظمة القرآن الكريم وكتب الأحاديث النبوية الشريفة من المضبوطات عند مداهمة المسلمين .. لا أستعمل مصطلحات المنافقين كالإسلاميين والمتأسلمين).

***

لقد فزعت وجزعت والله يا قراء وأنا أقرأ عن كتاب اسمه:« الإسلام والإسلامويون» لكاتبين إنجليزيين هما: البارونة كارولاين كوكس وزميلها جون ماركس، والأولى عضو المخضرم في مجلس اللوردات البريطاني وصاحبة نفوذ معروف.

يجيب الكتاب عن السؤال الذي طرحته للتو على حكامنا، يقدم الإجابة واضحة صريحة فلا يضيف مثل منافقينا رذيلة الكذب إلى جريمة الكفر، فيقرر المؤلفان أن الغالبية العظمي من المسلمين هم مواطنون مسالمون، ولا مشكلة معهم. إنما المشكلة مع المسلمين المتطرفين، ممن يسمون بالإسلاميين، وهم أولئك القلة من المسلمين الذين يعتقدون بأن القرآن وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقرون بأن الشريعة الإسلامية هي مرجعهم الأعلى في كافة شؤون حياتهم.

***

فزعت وجزعت يا قراء .. ليس لأن العلجين الإنجليزيين قالا ذلك، وإنما لأنني اكتشفت أن هذا بالضبط هو دين جل حكامنا، وإنني أجزم بيقين أنه دين نخبنا وكل أجهزة أمننا.

نعم ..

هنا يستقيم المنطق وتتضح الرؤية ويتسق الفهم ..

الآن نفهمهم .. حاولنا أن نقترب منهم دائما وأن نجادلهم بالتي هي أحسن، على أمل أن يهديهم الله، لكنهم كانوا قد حسموا أمرهم منذ زمان طويل جدا، أطول بكثير مما نتصور، وكانوا لا يتمسكون من الإسلام إلا باسمه ومن القرآن إلا برسمه، وكانوا طول الوقت على دين كوكس وماركس ويرون أن المتطرفين والإرهابيين هم المسلمون الذين يصرون على أن القرآن غير قابل للتبديل والتحريف وهم الذين

يتمسكون بالشريعة الإسلامية !!.

فزعت وجزعت يا قراء .. فمن خلال هذا المفهوم يجري تحديد معني الظلامية والتنوير، والانغلاق والتطوير، والسلفية والحداثة، ومن خلال هذا المفهوم نفسه يجري تحريم الجهاد ووصمه بالإرهاب. ومن خلال هذا المفهوم نفسه يروجون – بسياسة الخطوة – خطوة لفرية أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر بينما الجهاد الأصغر هو قتال أعداء الله، تقليلا من قيمة الجهاد كمرحلة أولى يتلوها تحريمه بعد أن يتم تجريمه.

***

من أجل ذلك كان تركيزي في المقال الماضي على حقيقة الجهاد وهي حقيقة علينا ألا نكف على التركيز عليها أبدا: فالجهاد هو قتال العدو وقتله أو الموت شهداء دونه .. والعدو الآن هو أمريكا وبني إسرائيل .. وكل عملائهم.

***

لكن الجهاد لا يقتصر على هذه الدرجة العالية السامقة فقط، وإنما هناك درجات أدنى، بحيث يجد كل مسلم مهما كان ضعفه وعجزه بابا إلى الجهاد يستبرئ به أمام الله يوم القيامة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم** »

والجهاد الآن فرض عين في جبهات كثيرة، بل في كل الجبهات.

لقد تخلى عنا حكامنا وولاة أمورنا، وكل نخبنا، وكتابنا، ومفكرونا، وصحافيونا، ووزراؤنا، وجامعاتنا، ومعاهدنا، وحتى معظم فقهائنا. الخطورة التي لا نفطن إليها أن خسارتنا في كل أولئك مضاعفة وأن مصيبتنا مزدوجة، فمن ناحية خسرنا الجهد الذي كان من الواجب أن يقوموا به لنصرة الإسلام وإعلاء شأن المسلمين، وكانت تلك خسارة فادحة توازي أن يهرب القادة من الجيش أثناء المعركة، ولكن الكارثة لم تقتصر على ذلك، فقد انضم هؤلاء جميعا إلى معسكر الأعداء، لا بمجرد شن الحرب علينا، بل بما هو أخطر، بتجفيف منابع ديننا.

خاننا السلطان الذي كان المفروض أن يزع ما لا يزعه القرآن، ولم يكتف بخيانته بل راح ينزع من صدورنا ومن صدور أبنائنا القرآن نفسه. وهنا ينفتح باب جهاد أظنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة ..

نعم ..

فرض عين على كل مسلم ومسلمة ..

***

نعم يا قراء .. ثمة أبواب كثيرة للجهاد .. فمن يجاهد؟ ..

المسلم المحاصر مكلف الآن بأن يقوم لا بواجبه فقط، الواجب الذي درج المسلم العادي على القيام به طيلة خمسة عشر قرنا، بل أن يقوم بأضعاف هذا الواجب، إذ عليه أن يقوم بواجب الفرد وواجب الأسرة وواجب المدرسة وواجب الشارع وواجب التلفاز وواجب الصحافة والتلفاز ووسائل الإعلام وواجب مواجهة النخبة الخائنة التي لا تكف عن خداعه وتزييف وعيه. ومكلف أيضا بأن يحاول أن يقيم من الدين ما لا يقوم إلا بولي الأمر .. المسلم ..

لم يعد لدينا أمير للمؤمنين .. لكن هذا ليس مسوغا لأن لا يكون عندنا مؤمنون .. !!.

لقد هدموا دولة الإسلام ثم مزقوا أمة الإسلام ثم هاهم الآن أولئك يتسللون – بمساعدة حكامنا ونخبنا – إلى لبنة المجتمع الأولى، إلى الأسرة، إلى الأب والأمة والإخوة .. ومن هنا يصبح فرض العين على كل راع – وكل راع مسؤول عن رعيته- أن يقوم لا بالدور الذي كان يجب أن يقوم به كل هؤلاء فقط، بل أن يقوم أيضا بمواجهة الدور العكسي الذي يقومون به الآن.

***

نعم ..

لقد نجح الصليبيون واليهود في الاستقطاب، وفرض الكفاية الذي تخلى عنه الحاكم والنخبة والدولة، أصبح فرض عين على المسلمين جميعا، وأول هذا الفرض هو الحفاظ على العقيدة في قلوب أبنائنا كي نعينهم على الثبات حتى يأتي الله بالفرج!.

لقد توقفت المدارس عن تعليم الدين والتاريخ الإسلامي، فليكن كل أب وكل أم مدرسة لتعليم الدين، فليعلم الأخ الأكبر إخوته الأصغر، وليعلم الصديق أصدقاءه. إنهم يحاولون محو القرآن من قلوبنا ومسخه في وعينا، لذلك فإن حفظ القرآن الآن جهاد قبل أن يكون عبادة. يجب أن يتصرف كل واحد منا كما يتصرف الطفل الذي

يعوله أبوه فلا يفكر في أمور المعاش حتى يموت أبوه فجأة، فتتحول المسئولية كلها إليه وينتقل العبء ليستقر على كاهله.

نعم ..

لقد ترك معظمنا القرآن لأنه واثق طول الوقت أن هناك غيره من يقوم بأمره.

الآن .. على كل واحد منا أن يقوم بأمر القرآن كما لو كان لا يوجد في الدنيا من يقوم بأمره سواه ..

إنهم يشرعون الآن في محو عقيدة المسلمين بعد محو دولتهم، علينا إذن أن نجاهد بالحفاظ على عقيدتنا.

إنهم يشرعون الآن مع عملائهم الفسقة بيننا في تحقير شعائر الإسلام، فلنعظم نحن شعائرنا .. وذلك جهاد ..

إنهم يستبعدون تماما أهمية الحلال والحرام والمعروف والمنكر، ليس حتى لصالح الصواب والخطأ وسيادة القانون، لا .. فتخطيط جبابرة الخارج وخونة الداخل ألا يكون هناك حلال ولا حرام ولا صواب ولا خطأ ولا قانون على الإطلاق .. التخطيط ليس أن تعيش شعوبنا العزلاء المهزومة المحاصرة وفق منطق آخر غير الإسلام، بل أن تعيش بلا منطق على الإطلاق .. لتسير نحوا لهاوية ..

يجب أن نرسخ بيننا الفكرة الصحيحة التي ترى أن التشرذم الحالي للمسلمين هو محنة عارضة، ومصيبة طارئة، سبق أن تعرض الكيان الإسلامي لها ثم عبرها وتغلب عليها ونجا منها، وأن الاستسلام للهزيمة خطأ وفقدان الثقة في المستقبل إثم. ! .. بل وعلينا أن ندرك أن أفضل ألف عام في تاريخ البشرية كانت تلك التي ساد المسلمون فيها العالم.

التجمع على الصلوات الخمس الآن جهاد ..

الاهتمام بأمر المسلمين ليس مجرد جهاد بل إن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

***

الخطة الخبيثة الشيطانية التي يساعد عليها ولاة أمورنا هي تجفيف المنابع، وإلغاء التعليم الديني في المدارس والجامعات، ومسخه وتشويهه في المعاهد الدينية، ثم قيام

الفسقة والكفرة بالهجوم على بقايا الدين الضامر الذابل المشوه المنقوص في قلوب الناس متخذين مما يدعون زورا أنه وسائل الإعلام والثقافة منصات قصف وهجوم. حيث تقوم هذه بمواجهة أمة شُوِّه علمها الديني ومسخ، بشبهات لا يوجد بين الناس من لديه العلم الكافي لدحضها، ويأمل عبدة الشيطان وأتباعه من ذلك أن يوجهوا إلى الدين ضربة قاضية لا تقوم له بعدها قائمة.

إنني أرجو من كل راع يقرأ هذا المقال أن يسأل أبناءه أبسط أسئلة يمكن أن يسأل فيها مسلم ولير كيف تكون إجابته ..

في برنامج تلفازي شهير كان المذيع في الشارع يسأل: في أي عام هجري نحن؟ .. ولم يجب أحد!! .. ثم سأل عمن يعرف الشهور العربية فلم يعرف أحد .. وضحك الناس وكان أولى بهم أن يبكوا دما .. "هؤلاء هم الذين سيدافعون عن الإسلام ويردون عنه غوائل الشبهات التي يزرعها الصليبيون بمعاونة مثقفينا الخونة ..

إن مواجهة هذا كله جهاد، وتعويض ما تقوم به السلطة الباطشة الفاسقة من تجفيف لمنابع الدين جهاد.

إن الاهتمام بلغة العرب جهاد ..

وتعليم الشعوب الإسلامية غير العربية لغة القرآن جهاد.

أليس مهينا أن العربي عندما يسافر يتعلم لغة الأجانب الذين يسافر إليهم، فإذا جاء هؤلاء الأجانب إلى بلاد العرب اضطر العربي إلى تعلم لغتهم بعد أن أفقد ولاته لغة القرآن عزها ومجدها. بل أليس مخزيا أن الخدم في كل بلاد الدنيا يتعلمون لغة سادتهم، إلا في بلاد العرب، حيث يتعلم العرب لغة خدمهم .. !!

***

التفوق العلمي جهاد، ومكارم الأخلاق جهاد، والانتصار للحق جهاد، والصبر جهاد، ومواجهة الموظف الصغير لرئيسه الظالم جهاد، وعصيان ولي الأمر الذي يأمر بما يغضب الله جهاد.

***

كل هذه ومئات وآلاف غيرها كانت ضروب من جهاد العامة ..

أما جهاد الخاصة فإن الأمة تحتاج إلى علماء يستشهدون بقول الحق أمام سلاطين

الجور والفسق والتحالف مع الأعداء .. فهذه الدماء هي الشرارة التي ستشعل نيرانا تحرق طواغيت الكفر إن شاء الله.

***

فضيحة المثقفين والقرد!!

فضيحة ثقافية حدثت وسط الأحداث العاصفة الأخيرة، فتاهت في زحام الأحداث، كما تاه حدث وفاة المنفلوطي عام ١٩٢٤، الذي واكب إطلاق الرصاص على سعد زغلول فلم ينتبه الناس لموته، فقال أحمد شوقي في ذلك قصيدته العينية الرقيقة التي أذكر منها.

اخترت يوم الهول يوم وداع ... ونعاك في عصف الرياح النـاعي

من مات في فزع القيامة لم يجد ... قدماً تشيّع، أو حفاوة ساع

***

سوف نكون حسني النية حتى الغفلة إذا ما فسرنا صمت أجهزة الإعلام عن الفضيحة الثقافية التي سأتناولها على الفور بانشغالها بالغزو الأمريكي وتداعياته، فما أراه هو أن هذه الواقعة تكشف وتفضح كل الحداثيين والمستغربين والعلمانيين العرب، ولكن .. لما كان هؤلاء هم الذين يسيطرون على أجهزة الإعلام فيبدو أنهم قد اتفقوا جميعا على التكتم على الفضيحة التي تسببت في أن أحد المتورطين فيها أدخل إحدى المصحات النفسية لهول صدمة ما حدث ..

***

ما أريد أن أركز عليه هو أن هذا النموذج من النقاد ليس الاستثناء .. بل هو القاعدة .. وكلهم كذلك .. ولا يفوق مقدرتهم في إخفاء مخازيهم وفضائحهم سوى قدرة أمريكا على إخفاء جرائمها .. والكفر ملة واحدة ..

***

موجز الفضيحة أن الصحافي (صلاح محفوظ) المحرر في مجلة (الصدى) الأسبوعية التي تصدر من دبي، قرر الاستعانة بقرد من نوع الشمبانزي يدعى (شيتا) ووضعه أمام لوحة وفرشاة وألوان ثم ترك القرد (ليشخبط: هل توجد كلمة فصيحة تؤدي المعنى؟!) على اللوحة، وعندما اكتملت اللوحة التي سماها (أمريكا والعالم) وطلب

من مجموعة من النقاد والأسماء المعروفة في الساحة الثقافية وأقلام يشار لها بالبنان، أن يكتبوا قراءات نقدية عن اللوحة، بقوله لهم (إن اللوحة رسمها ثري عربي) وسوف يحصل النقاد الذين يكتبون عنها ويروجون لها على مكافأة مالية، وسال لعاب كبار النقاد المستنيرين، وشمروا عن أقلامهم، ونشر الصحافي صلاح محفوظ ما حدث بعد أن فجر الفضيحة، فاللوحة رسمها «قرد» وليس لها علاقة برسام بشري .. وكعادة رواد التزوير لا التنوير لم يعترف النقاد بجهلهم وضلالهم، بل إن منهم من أنكر ما كتبه والبعض الآخر هدد المحرر بالقتل ومنهم من سماه «بمسيلمة الصحافة الكذاب».

***

والآن لنستعرض بعضا من كتابات النقاد القرود عن لوحة القرد:

«للوهلة الأولى لا يستطيع المرء إلا أن يقف مكتوياً بحرائق اللون وبراءة اندفاعاته أمام تجربة تشكيلية جديدة ومتمردة وبادخة في رؤياها، تبحث عن إطار تعبيري مختلف، لوحة الفنان (.. ..) تتقدم إلى متلقيها مسكونة بحرية فائقة وخطيرة، تأخذنا إلى تخوم التجربة المطلق إن صح التعبير.

وهذا بحد ذاته يتطلب من قارئ اللوحة إن يتسلح بذائقة مختلفة، تبتعد بمسافة غير محسوبة عن أنماط المتلقي التقليدي الذي يبني على حسابات الكتل والمساحات وقوانين التشريح وكيمياء الألوان».

وكتب الآخر يقول: (لوحة أمريكا والعالم) للفنان (.. ..) هي بمثابة رفض لوني أو إدانة ضوئية متوهجة عبر لوحة تجريدية ذات وجه فلسفي عميق يحرص على تكريس قيمه مواجهة ومقاومة هذا التوحش الحضاري المتكرر فقط على القوة والافتراس.

هكذا تبدو أمريكا بوصفها حضارة مادية مبنية على قوة مفرغة من المبادئ الإنسانية، وذلك هو سر الدماء الحمراء!!.

وجاء الدور على فنانة تشكيلية أصلا ولكنها وقعت في الفخ وقالت «تجربة» الفنان (.. ..) مستويات عديدة تظهر البعد الفني والنفسي، وهي تطرح جدلاً خاصاً وتحاول إدراك الحلم بنكهة خاصة به بعيداً عما هو مألوف وزخرفي ..

وكتب الآخر وهو ناقد فني يقول «يكتشف الناقد للوهلة الأولى جرأة هذا الفنان

واقتحامه لعالم الألوان دون خوف أو خجل (...) فالأزرق الحالم يدخل في حوار هين وسلس مع الأخضر المستكين، ليقتحم المسن فجأة الأحمر الدموي بصخبه اللانهائي، أما الأصفر السقيم فيمنح اللوحة توازنها وعافيتها .. لا جدال بأن الفنان آثر أن يهجر المكرر والرتيب في الحركة التشكيلية العربية من أجل إقامة حوار لوني عفوي يستند إلى أحكام البناء وتجانس الدرجات اللونية.

وتأتي الورطة الأكبر لواحد من أشهر الأطباء النفسيين الذي شخص الحالة النفسية للفنان (القرد) بقوله: « إن قلة المساحات البيضاء باللوحة تشير إلى أمرين، أولهما إن هذا الفنان يزدحم عقله بثقافات مختلفة وكثرة اطلاع، والثاني : أنه متشائم بدرجة كبيرة، لأنه قلص مساحة الأصل التي يشير إليها اللون الأبيض، كما تشير طريقة رسمه للوحة إلى انه رسمها على مرحلتين، الأولى : كان يمر فيها بمرحلة قلاقل نفسية نتيجة مشاحنات أو مشكلات عائلية، وهذا بدأ من التوتر اللوني الذي يعبر عنه بوضوح في الجانب الأيسر من اللوحة، أما الجانب الأيمن من اللوحة فقد رسمه وهو في حالة نفسية مستقرة، تعبر بوضوح عن حالة انسجام عاطفي وعائلي، حيث تميزت الألوان بالدفء والتناغم، لكن المثير في هذا الفنان (.. ..) إنه يعاني من أعراض فصام عقلي في بداياته أصيب به من كثرة قراءاته واطلاعه على تجارب الآخرين».

***

و .. هؤلاء هم مثقفوك يا أمة!! ..

هؤلاء هم المثقفون الخونة الذين لم يضعهم في أماكنهم إلا حكام خونة ..

وهذا أمر منطقي تماما .. فالحاكم الجاهل السوقي الفظ العميل لابد له من مثقف على شاكلته .. أو بالأحرى من صعلوك يسميه الحاكم – بمرسوم – مثقفا ..

ثم نتساءل كيف ولماذا انهزمنا؟! ..

اختاري واحدة يا أمة الإسلام

الإبادة كالهنود الحمر، أو الترويض كالعبيد، أو الجهاد ..

***

«حكامنا مرتدون وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون».

عسرٌ ويسران ..

عزاني ربي – سبحانه وتعالى – فأجمل عزائي .. ولولا ذلك العزاء الجميل لانفطر قلبي، فعندما جاءتني رسالة رائد الفلسطيني، القسامي، أحسست أن أعضائي تنفرط، وتتناثر أشلاء، وأحسست أنني غير قادر على مواصلة الحياة يوما آخر، نؤت، فالطريق طويل والزاد قليل، طريق تعب فيه آدم، وناح نوح، وألقي في النار أبو الأنبياء إبراهيم، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف، ونشر زكريا .. و .. و .. , وتحت وطأة الألم تفلّت مني قلبي، ليخرج من إطار الأوامر والنواهي لسيدي ومولاي صلى الله عليه وسلم، تفلّت مني قلبي فتمنيت الموت، وحذرني النذير: سيدك وحبيبك ومولاك حذر من تمني الموت، بل ادع الله أن يحييك ما كانت الحياة خيرا لك وأن يقبضك حين يكون الموت خيرا، ورددت على النذير معتذرا بالألم الذي قد يبيح محظورا كرخصة، ومعتذرا أيضا بما قد ذُكر عن سيدنا يوسف عليه السلام، وعن مريم رضي الله عنها تمني الموت. وذكر ذلك أيضا عن سيدنا عمر وسيدنا عليّ وسيدنا عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنهم أجمعين.

نعم ..

انفطر قلبي مع مجيء رسالة رائد، الفلسطيني القسامي ..

فلسطيني قسامي؟

هل يجوز لي أن أوقع: محمد القاهري أو السكندري؟؟

وهل يجوز لسواي أن ينسب نفسه فيقول الدمشقي أو الحلبي أو الرياضي أو الصنعائي أو البغدادي أو .. أو .. أو .. ؟ ..

لماذا لا أقول رائد المسلم إذن ..

رائد المسلم ..

فالإسلام وطن ..

انفطر قلبي مع رسالة رائد المسلم .. ورأيت فتنا كأنها قطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع قوم أخلاقهم بعرض من الدنيا يسير. ويتركون الدين بأبخس ثمن، فرحت ألتمس العزاء من الله .. عزّني يا رب ففيك العزاء من كل مصيبة والخلف من كل هالك وفيك دركا من كل فائت، من أجل ذلك أرجوك وأدعوك فإن المصاب من حرم من عزائك.

انفطر قلبي وناء بالألم كاهلي فتمنيت الموت وأنا أهتف: صدقت يا سيدي يا مولاي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ..

***

يا ليتني مكانه ..

يا ليتني مكانه ..

يا ليتني مكانه ..

***

قال ابن مسعود: سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه ..

***

أتذكر رسالة رائد الأخيرة[1]:

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم رائد

فلسطين ١٠ سبتمبر ٢٠٠٣

١٤ رجب ١٤٢٤

(١) راجع رسائل رائد كاملة في مقدمة الكتاب.

آآآآآآآآآآآآه ..

شملني عجز كلي ..

و أحسست أنني لا أملك حرفا واحدا يمكن أن أقوله لرائد المسلم ..

لا أملك سوى العجز وعض بنان الندم فلو أنني أستقبل من أمري ما استدبرت لاخترت الجهاد بالدم لا بالقلم.

***

أتذكر من رسائل القراء تلك التي راحت تستحثني: لم يعد لديك المزيد فاذهب إلى فلسطين أو أفغانستان أو العراق طالبا الشهادة ..

ولم أكن أستطيع ذلك يا رائد المسلم ..

فمباحث أمن الشيطان كانت كفيلة بأن تمنعني قبل أن أبرح داري .. وفقهاء السلطان عجزوا عن إثبات النسب بين مباحث أمن الشيطان والشيطان فتركونا في أرض التيه .. حيث المتشابه الذي يصعب فيه اتخاذ قرار ..

***

تنفجر الذكرى كبركان من الألم تسيل حمما ..

١٩٤٨ كنت صغيرا جدا لا أعي ..

٥٦ غرقت في أحلام يقظة عن الجهاد والاستشهاد ..

٦٧ يا رائد النصر الغائب وتمنيت لو أني سأستشهد فيها أو أبيها وكنت أبيتها ..

وفي ذلك الوقت يا رائد كنت ما أزال في بداية الطريق ولم أدرك أي حرف داخل سفينة النجاة إليه .. ولا أي مجرة تنتظم إليها لم يتقدمها إلا المدعو بالإسلام يتبعها كل أنظمتنا تحارب الإسلام.

٧٨، ٧٩، ٨٠، وحين فوجئت بجاري في القطار أجنبيا، وحدثني، ورحت له لأفاجأ بعدها بلحظة أنه إسرائيلي ففزعت كالملدوغ. وكان الإحساس الأول الذي تبادر إلى ذهني أن أقتله، وكنت عاجزا يا رائد المسلم، فوليت فرارا من المكان كله ..

لم يكن عجزي عن الاستشهاد عجزا جبن يا رائد المسلم .. وأظن أن عجز الأمة كلها كان كعجزي .. لم يكن عجزا فيسا بل كان عجزا في فقهائنا الذين لم يواكبوا

بفتاواهم أنواع الفتن التي تحيط بنا .. وبسبب هذا العجز، أجدني منذ ذلك الوقت وحتى الآن، أي طيلة ربع قرن عاجزا عن الإجابة عن سؤال افتراضي يقول: أيهما تختار لو أتيح لك الاختيار: أن تستشهد في إحدى عمليتين: عملية تفجر فيها نفسك في اجتماع لحكام أمريكا وبريطانيا وإسرائيل .. أم تفضل أن تستشهد في عملية تفجر فيها نفسك في مؤتمر قمة عربي ..

أيهما يفيد الإسلام والمسلمين أكثر ..

و أيهما يكون مدعاة لمرضاة الله أكثر ..

ولم يكن لي أن أجيب عن هذا التساؤل .. كان هذا دور فقهائنا وهو دور نكصوا عنه فتركونا نسقط في تيه الحيرة والمتشابه ..

ولم يقتصر العجز عند هذا الحد .. فقد سألت نفسي ذات يوم: لو أتيحت لي الفرصة لأن أقتل أحد اثنين في سبيل الله فأيهما أقتل: حاخاما إسرائيليا أم شيخا في الأزهر .. قسيسا أمريكيا أم شيخا في الحرم .. وزيرًا شاذا يدعو للشذوذ والكفر أم من أتى به؟

***

عجز كلي يا رائد ..

عجز كلي جعلني أتمنى السجن أو الاعتقال، فبأيهما يسقط التكليف، وأبرئ أمام الله ذمتي، وأبرئ سقمي، وأبرر عجزي، وأشفي وجعي.

عجز موجع .. كل شيء فيه موجع .. الجوارح والزمن والكلمات .. عجز يمتد كجرح بطول الجسد كله .. يشج الجسد كله .. ثم لا يتوقف عند كونه جرحا يشج الجسد في زمن محدود فلعله موجود اليوم ولم يكن موجودا بالأمس وسيبرأ غدا .. لا .. بل جرح يمتد ليس بطول العمر فقط .. جرح يمتد من عام ١٩٤٧ ويتسع .. كل يوم .. جرح لا يقاس طوله بأبعاد المكان بل بمقاييس الزمان .. جرح يتعدى عمري ليضيف إلى هزائمه هزائم أخرى بطول أزمنة الهزيمة .. جرح يؤلم فيه ما حدث في الأندلس وما يحدث في فلسطين .. وما يحدث في الشيشان وأفغانستان وكشمير والفلبين .. جرح بطول التاريخ وعرض الأمة ..

نعم ..

وجع موجع ..

وجع على وجع ..

هل تذكر يا رائد مقالتي الماضية حين رحت أسرد وصف الشيخ يوسف القرضاوي للتعذيب في سجون الطاغوت – ومن جاءوا بعده كانوا أشد شرا وخسة- هل قرأت الشيخ الجليل وهو يصف كم هو فظيع ألم الضرب بالسياط على الجلد السليم أول مرة .. وهل قرأت استدراكه أن هذا الوجع يكاد لا يذكر عندما يقارن بوجع وقع السياط للمرة الثانية على الجلد الملتهب المتقرح الممزق بوقع السياط السابقة ..

أوجعني الوجع لأنه جاء على وجع .

وتذكرت .. أن البطل المجاهد أيمن الطواهري كان واحدا من ضحايا هذا العذاب لأنه رجل يقول ربي الله ..

أوجعني الوجع فتمنيت الموت رغم تحذير سيدي ومولاي صلى الله عليه وسلم ..

تمنيته وأنا أتوجس أنني من أجيال وقوم الاستبدال الذين سيبدلهم الله فيذهب بهم ويأتي بقوم يحبهم ويحبونه .. تمنيته وأنا أقول لنفسي: حتى لو انتقلت من جحيم الدنيا إلى النار فيكفيني أنني هناك – وقد انقشع سحر الزمن - لن أتجرع غصص المذلة والمهانة أمسي عليها كل مساء وأصبح كل صباح .. ثم إنني هناك، ولو في النار، سوف أذهل عن ألم النار برؤية ربي ..

***

لم أكن أتصور يا رائد المسلم كيف ستمر عليّ الساعة التالية بعد وصول رسالتك بله انتظار مجيء الصباح ..

***

وفجأة عزاني ربي فأجمل عزائي ..

كانت رسالتك يا رائد محنة وكانت عسرا ..

فأرسل الله لي يسرين ..

نعم ..

يسرين ..

فقد فوجئت بالشيخ أسامة بن لادن وأيمن الظواهري يوجهان رسالة للأمة ..

يـاااااااااااااااااااااااااااااااااااااه ..

لشد ما استطال غيابكما ..

ولشد ما نهشني القلق عليكما ..

ولشد ما اشتد الشوق إليكما ..

***

رأيتهما في الصحراء ..

وانفجر في القلب طوفان حنان خاشع باك والزمان يرتد بي خمسة عشر قرنا فأكاد أراني الرسول ﷺ والصديق رضي الله عنه يهاجران .. وبعد الهجرة النصر والفتح ..

***

ليس في الأمر أي تشبيه أو مقارنة أو مقاربة، وأرجو ممن أعمى الله بصائرهم أن يعتوني من رسائلهم المتنطعة ضد أي موقف ينصف سيد المجاهدين في زماننا .. وبعضهم يسلقونني بألسنة حداد عندما أقول – وسأقول – أسامة بن لادن رضي الله عنه .. وهذا البعض لا يتورع عن عبادة ملكه أو رئيسه .. ثم إن هؤلاء الهالكين المتطعين يجهلون أن رضي الله عنه دعاء لم تقصره كتب الأثر على الصحابة والتابعين، بل لقد امتد ليشمل مصحح الطباعة لصحيح مسلم، المطبوع بدار الطباعة العامرة، بالآستانة، عام ١٣٢٩ هـ .. !! ..

وهذه الرسائل المتنطعة رغم قلتها بالنسبة للرسائل الأخرى إلا أنها تعبر عن عدم فهم مطلق ..

نعم .. انفجر في القلب طوفان حنان خاشع باك والزمان يرتد بي خمسة عشر قرنا فأكاد أرى الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه يهاجران ..

ليس في الأمر أي تشبيه أو مقارنة أو مقاربة .. لكنني فجأة رأيت في ومضة برقت في الديجور فرأيت رحمة ربي، رأيت الزمان يدور دورته، ويعود لهيئته، ورأيت في الرمز فتحا مبينا.

***

لقد سألني الكثيرون لماذا لم أكتب منذ زمان طويل عن هؤلاء المجاهدين .. وكنت أحييهم أنني أشعر بعجز كلي .. فماذا يمكنني أن أقول للشيخ أسامة أو الشيخ أيمن أو لقائد المسلم ..

أيّ تزيد بغيض أن يتقدم الجاهل ليعلم العالم ..

وأن ينبري الجبان ليشجع الشجاع ..

وأن يتقدم من هده الوهن وأذله ليشد أزر من باعوا أنفسهم إلى الله ..

وأن ..

وأن ..

وأن ..

***

كنت أيضا أخشى أن أثقل بكتابتي عليهم حين أقول لهم كم اشتقنا إليهم وكنت أخاف أن أضغط عليهم بالحب فيظهروا ظهورا يهدد سلامتهم وأمنهم ..

كنت أخشى عليهم مس الريح أن يزعجهم ..

وكنت عاجزا ذلك العجز الكلي .. ففي كل مجال من مجالات الدنيا والآخرة لهم قصب السبق ..

وحتى عندما كنا أهم أن أهتف بهم: اثبتوا فأنتم على الحق، كان الخزي يغرقني والعار يجللني .. فمن أنا حتى أقول لهم ذلك ..

***

فقط .. أقول للأمة ليس من سبيل أمامنا سوى هذا السبيل الذي يسير فيه إخوتنا في فلسطين والعراق وأفغانستان ..

ليس للأمة من سبيل سوى أن تعد لأعداء الله ما ترهبهم به ..

ليس للأمة من سبيل آخر .. وما حدث في ١١ سبتمبر قصاص لا مناص منه .. ونحن لا نسعى إليه .. لكنهم هم الذين يحتلون بلادنا، فإن أرادوا الأمن فعليهم أن يغادروها، كي نعيش الأمن كما يعيشونه أو عليهم أن يعيشوا الرعب والدمار والموت كما نعيشه.

ليس هناك سبيل آخر ..

ذلك أن ما يطرحه علينا الجبابرة الآن واحد من ثلاثة:

إما أن يبيدونا كاهنود الحمر ..

و إما أن يروضونا كما روضوا العبيد ..

و إما أن نجاهدهم ..

ليس أمامنا سبيل آخر ..

فإذا أردنا الدنيا فإن علينا أن نجاهدهم ..

و إذا أردنا الآخرة فإن علينا أن نجاهدهم ..

و إذا أردنا الدنيا والآخرة فإن علينا أن نجاهدهم ..

مهما فعلوا، ومهما حاولت أجهزة إعلامهم الشيطانية أن تقلب الحقائق ..

ثقافتهم وبربريتهم لا تلزمنا بشيء ولا تضع أمامنا أي حاجز ..

وديننا يأمرنا أن نقاتلهم أينما وجدناهم .. وهذا أمر لكل مسلم في كل مكان وزمان، أمر لا ينتظر رخصة من حاكم عميل كي يعطيه شرعيته .. فالحاكم نفسه فاقد للأهلية والشرعية .. بل «حكامنا مرتدون وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون» كما يقول الشيخ المجاهد رضي الله عنه.

يا شيخ أسامة بنْ لادن: لقد كانت عبقرية ما حدث يوم ١١ سبتمبر أنها جردت الغرب من أقوى أسلحته، ألا وهو الكذب، والغرب الذي ادعى الحضارة والرقي والتقدم اضطر لخلع كل أقنعته لتبدو كل عوراته .. تحت رئاسة ذئب غادر غبي هو بوش، وكلب أجرب هو بلير وخنزير هو شارون .. اضطر الغرب لخلع أقنعته في توقيت لم يكن هو الملائم تماما بالنسبة له، فقد كان وكلاؤه يكفونه مئونة القتال بقتل روح الأمة وترويضها وسلب هويتها وتعويدها على الشذوذ والخنا .. وكلاؤه وهم الحكام والمثقفون .. بعض نخبتنا المثقفة .. الطابور الخامس الذي اختار أن يبيع أمته ودينه، وكان الغرب يأمل أن يتمكن هؤلاء في صمت ودأب من اقتلاع الإسلام من قلوب الناس، ويوما بعد يوم وعاما بعد عام ينجح هؤلاء في مخططهم ليتقدم الغرب بعدها ليستولي على الدول دون قتال. كانت عبقرية ١١ سبتمبر أنها نبهت الغافل وفضحت المخبوء ..

هذه النخبة المثقفة يمثلها رضا هلال .. وإن كانت أموره قد افتضحت بسبب اختفائه الغامض، فإن أمور أقرانه كأموره، فقط هي لم تفتضح بعد .. وفي نفس هذا الإطار- وقبل أن يختفي أحدهما أو كلاهما - أرجو مراجعة كتاب فاروق عبدالقادر الأخير وما ورد فيه عن عدد من الكتاب منهم جمال الغيطاني .. والكتاب مذهل .. وأكثر ما يذهل فيه هدم الحواجز المصطنعة بين الفن كوظيفة وكتوظيف وتمزيق الأستار بين الشذوذ الفكري والجسدي والعمالة للأجنبي .. ويشهد بهذا شاهد يساري .. من أهليهم.

***

يا شيخ أسامة ومن معك .. إن الأمة تكتفي منكم بما فعلتموه .. وتدرك أن القصور في رد فعل أمة عاجزة وحكام خونة وفقهاء عجزوا عن مقاومة غواية السلطان فأنى لهم أن يصمدوا لغواية الشيطان، واحد منهم، وغد منهم أفتى بعدم جواز إفتاء علماء مصر للعراق، ولا يدرك هذا الوغد الزنيم أنه يطبق تعليمات المخابرات الأمريكية ويهدم معنى أول آية في القرآن الكريم بعد البسملة، فالدين كله موجه لله رب العالمين وليس رب المصريين دون العراقيين، هذا لوغد يسلب من الإسلام أهم وأقوى خصائصه: عالميته.

أقول أن الأمة تكتفي منكم بما فعلتموه، لكنها تصدق كل حرف تقولونه، وتدرك أن الملحمة لم تبدأ بعد وتنتظرها. تنتظر – في عجز ذليل- إذلال المجرمين بوش بلير وشارون ومن معهم .. وتنتظر في عجز ذليل إذلال حكامنا الخونة ونخبهم .. ورغم أن هذا هو واجب الأمة إلا أنها وقد عجزت تنتظر الفرج من الله على أيديكم .. فتطرب لدم كل أمريكي مجرم يسفح، ولعنق كل يهودي خسيس يذبح ..

والأمة تأمل – لست أدري كيف- التوصل إلى سلاح دمار شامل يردع المجرمين .. لست أدري كيف يمكن طرح الأمر لكنه جوهري، وإن أمان البعض حتى لو كانوا خونة، هو في عدم تسليم كل الأوراق إلى أمريكا، وعلى سبيل المثال، فإن وسيلة تأمين السلاح النووي الباكستاني، والمشروع الإيراني، أن تكون معلوماتها النووية متاحة ومطروحة أمام باقي المسلمين.

والأمة تدرك أنه لا سبيل أمامها لمواجهة الطواغيت إلا بإرهابهم، وطردهم من بلادنا ..

وسيطردون بإذن الله ..

فبارك الله فيكم .. يا طليعة المجاهدين والشهداء ..

***

لا أجرؤ على الدعاء لكم .. لكنني أرجوكم أن تدعوا لي .. كي يحشرني الله في زمرتكم يوم القيامة ..

إما إيمان وإما كفر

أي حُمّى وأي تكالب يمكن أن تصيبنا جميعا لو سرت بين الناس شائعة - مجرد شائعة - أن أسهم شركة ما في البورصة تبلغ قيمة السهم منها الآن مائة دينار ستتضاعف في نهاية العام ليباع بألف دينار ..

أي حُمّى وأي تدافع وأي تكالب لو كان أصحاب هذه الشركة من الأسماء اللامعة في عالم الاقتصاد وليسوا نصابين وشذاذ آفاق ..

من منكم يا قراء لن يبيع على الأقل بعض ما يملك كي يشترى من أسهم تلك الشركة ..

ثم ماذا يمكن أن يحدث لو أن الشائعة لم تكن شائعة، بل كانت حقيقة، وأن الأضعاف العشرة هذه ليست إلا الحد الأدنى، والذي يمكن أن يزيد ويتضاعف إلى مائة ضعف، أو حتى سبعمائة ضعف، بل وأكثر ..

***

أي حُمّى وأي لهفة يمكن أن تصيبكم يا ناس لو تعهدت الدولة أن الأمر لا يقتصر على ذلك .. لأن هناك فرصا أمام بعض الناس كي يفوزوا فوق ذلك بجوائز هائلة غير محسوبة تصل للملايين؟ ..

أي حُمّى وأي حمية وأي لهفة وأي تكالب ..

وأي حماقة وأي غفلة سنصم بها أولئك لا يغتنمون الفرصة ..

***

هل يمكن أن يدع أحد - والحال ذاك - تلك الفرصة تفلت من يده ..

حتى أولئك الذين لا يحملون في قلوبهم الثقة واليقين الكاملين بضمانات البورصة وتعهدات الدولة ..

حتى أولئك سيفسرون الشك لصالح هذه الضمانات .. سيقولون لأنفسهم من المؤكد أن خسائرنا ستكون قليلة جدا في مقابل احتمالات للمكاسب هائلة ..

لن ينكص عن الشراء - يا قراء - إلا فئة واحدة ..

تلك الفئة التي تملك اليقين المضاد ..

يقين بأن الشركة تمارس عمليات النصب والاحتيال وليس في ذلك أي ريب ..

ويقين بأن ضمانات الدولة كاذبة كصحفها ونشرات أخبارها وليس في ذلك أي شك ..

ويقين بأن من يندفع لاقتناء أسهم تلك الشركة في البورصة ليسوا إلا من الحمقى والجهلة الذين سيطرت عليهم غشاوات الظلام والجهل والخرافة وأنهم صدقوا ما لا يمكن أن يصدق .. وأن هؤلاء الجهلة المتخلفون الظلاميون إذ يندفعون ويتكالبون يخسرون ما يملكونه فعلا في سبيل وهم لن يملكوه أبدا ..

وهُمٌ لم يحركهم له سوى الجهل والغباء والتخلف ..

***

ماذا يمكن أن يحدث يا قراء لو أن هذه الفئة القليلة التي ظنت بنفسها العلم والاستنارة حاولت أن تعرقل مسيرة ملايين المندفعين نحو البورصة .. وأن تفرض عليهم رؤاها؟ ..

ماذا يمكن أن يحدث؟! ..

هل أقل من أن تسحق الملايين تلك القلة بالأقدام؟! ..

***

فلندلف الآن إلى مثال آخر يا قراء ..

إذ ماذا يمكن أن يحدث لو فوجئنا بإنسان ينكر وجود دولة اسمها أمريكا في هذا العالم، فيقرر أن يمحو اسمها من كتب التاريخ والجغرافيا، ثم لا يكتفي بذلك بل ينظر بعين السخرية والاتهام إلى من يؤكد وجودها؟!.

وماذا يمكن أن يحدث لو فوجئنا بإنسان آخر، يقر كارها ومضطرا إزاء الدلائل بوجود أمريكا، لكنه يجهل كليا كيفية التعامل معها، فلا يعرف كيف ينال مودتها أو كيف يتجنب عداوتها، لذلك فإنه يقرر أنه برغم اعترافه بوجودها إلا أنه لا يستطيع إخضاع هذا الوجود أو تفسيره بمنطقه، لذلك فسوف يمارس حياته كما لو كانت غير موجودة؟! ..

كلا الموقفين سيجد نفسه منضما من الناحية العملية إلى الآخر، الأول ينفي وجودها وبالتالي تأثيرها، والآخر يدعى أن لا تأثير لها ولا تدخل في هذا العالم، أو على الأقل أن هذا التأثير غير مفهوم للعقل.

كيف يمكن أن ينظر العقلاء إلى أنصار هذين الرأيين؟! .. وأي كم هائل من الازدراء والاستنكار والتعالي سينظرون بها إلى من يدعونه .. وماذا يمكن أن يفعل العقلاء إذا ما حاول الحمقى - رغم قلتهم - أن يفرضوا على الأغلبية رؤيتهم العرجاء الحمقاء العمياء؟! ..

والآن، لندلف على الفور إلى ما يرمز إليه المثال، ولنرفع اسم أمريكا ولنضع اسم الله جل جلاله، إن الفئة الأولى تمثل العلمانيين الملحدين، والفئة الثانية تمثل العلمانيين المؤمنين، إن صح أن هناك علمانيين مؤمنين.

***

هل تتساءل أيها القارئ الآن: لماذا استدرجنا هذا الكاتب إلى كل هذه الأمثلة وكل هذا الخيال هذا اليوم؟! ..

لماذا يستدرجنا هذا الاستدراج في أول مقال يكتبه في صحيفتنا الغراء؟!

لكنه يا أيها القارئ ليس خيالا ..

بل أردت يا مسكين أن أقول لك أنا المسكين .. أننا في حدود مثل البورصة لن نجد فئة ثالثة ..

سنجد الفئة الأولى: فئة الذين صدقوا وآمنوا فتكالبوا ..

وسنجد الفئة الثانية: فئة الذين كذبوا وكفروا فعزفوا وانصرفوا ..

لن تجد أيها القارئ أبدا من كذّب فاشترى ولا من صدق فنكص عن الشراء ..

وفي حدود مثل أمريكا لن تجد من يعرف ويعترف فيتجاهل، ولا من ينكر فيتبع .. !!

نعم .. ليس في الأمر أنصاف حلول ..

نعم .. أقول لك يا مسكين أنا المسكين .. أن الأمر لا يتعلق بحسابات الكمبيوتر ولا بقوانين الاحتمالات .. لا توجد نسب مئوية ولا يوجد كسر .. فليس ثمة نصف إيمان ولا ثلاثة أرباع كفر .. المادة تتجزأ .. لكن المعنويات لا تتجزأ .. ليس ثمت نصف شرف ولا ربع أمانة ولا ثلث ضمير ..

أقول لك يا مسكين أنا المسكين .. أن الأمر لا يخرج عن اثنتين لا ثالث لهما ..

إما إيمان وإما كفر ..

وفي حدود البورصة وأمريكا ضربت لكم الأمثلة أيها المساكين أنا المسكين ..

لكن الأمر في حقيقته أكبر وأعظم وأشد هولا ..

الأمر أمر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر ..

الأمر أمر يوم ترجعون فيه إلى الله ..

أمر يوم تصدقونه فأنتم مؤمنون أو تكذبونه فأنتم كافرون ..

إيمان أو كفر ..

لا ثالث ..

ثم إن الأمر لا يتعلق بخطة خمسية ولا حتى خمسينية .. بل يتعلق بالخلد الذي سنبدأه يوم الحساب ..

فأي هول ينتظرنا يوم الحساب ..

أي هول .. فإن صدقنا وآمنا .. فهل يمكن أن يوجد شيء في الوجود أهم من الاستعداد لهذا الهول؟ ..

وهل يمكن أن نعد أنفسنا لهذا الهول عن طريق البعد عن ثوابتنا ومقدساتنا واتباع الحضارة الغربية .. ؟. أم يمكن أن نعيش حياتين؟ .. أم قسمنا الدنيا: جزءًا لله وجزءًا للغرب؟! ..

قد تصلح الحضارة الغربية لإعدادنا للدنيا .. وأقول قد .. فالأمر مشكوك فيه .. وما حروبهم العالمية وقنابلهم النووية إلا دليلا على ذلك ..

أقول قد تصلح للدنيا .. لكن هل تصلح للآخرة .. ؟! ..

ذلك هو الفيصل الذي لا فصل بعده .. والتمييز الذي لا نعرف تمييزا سواه ..

الفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية يقبع في الإيمان باليوم الآخر .

إيمان يتجاوز اللسان إلى القلب .. ويتجاوز القلب إلى العمل ..

إما إيمان وإما كفر ..

إما عمل مكرس للدنيا فقط وإما عمل للدنيا والآخرة ..

عمل للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..
فكر للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..
سياسة للدنيا لا تصلح ولا تستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..
حكم للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة ..
نعم .. فالأمر جد لا هزل فيه ..
الأمر: إما إيمان .. وإما كفر ..

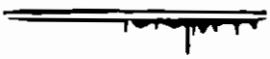

obeikandl.com

كلُ شيء مباح .. إلا الإسلام ..!!

يصيبني الذهول يا قراء عندما أستعرض موقف أولئك الأشرار الرافضين للخلافة الإسلامية برغم علمهم أن هناك إجماعًا بين فقهاء الإسلام على أن أهم أساس من أسس الإسلام بعد العقيدة هو الخلافة الإسلامية.

يصيبني الذهول ..

ليس لديهم بديل غيرها يطرحونه، ولا نظام آخر اتفقوا عليه .. وهم .. من شيوعيين إلى قوميين إلى علمانيين إلى مستغربين إلى حداثيين إلى العرب الصهاينة إلى العرب الأمريكان إلى بقايا العرب الروس إلى عبدة الشيطان لا يكاد يجمعهم شيء سوى رفض الخلافة كمظهر من أقوى وأهم مظاهر الإسلام، ليس ولاء لشيء غير الإسلام فلا ولاء لهم .. وقد تنقلوا بين الشرق والغرب والشمال تنقل جوارٍ بين أسياد .. فكلما ملكهن سيد جديد منحنه كل ولائهن .. فالولاء لمن دفع الثمن ..

نعم .. لا يتخذون هذا الموقف لأن لديهم ما يقدمونه بل عداء للإسلام والمسلمين ..

وهم على شذوذهم، على مستوى الواقع كما في عبدة الشيطان، وعلى مستوى لا يقل بشاعة عن الواقع في الفئات الأخرى، يحملون قدرا مذهلا من الكراهية لكل ما هو إسلامي، كراهية وثنية أو صليبية أو يهودية، ككراهية الشيطان للمؤمنين. كراهية تجعل هدفهم النهائي استئصال شأفة كل ما هو إسلامي كما استأصل الغزاة البيض شأفة الهنود الحمر. كراهية تنفجر من أفواههم وأقلامهم ضد كل مسلم وظاهرة إسلامية، إذا كانت هذه الظاهرة مبحث الخلافة استحالت هذه الكراهية إلى جنون غاضب وغضب مجنون.

الغريب أنهم يتفاخرون ويتطاولون عندما يحكمون علينا بفسادهم وبشذوذهم، أما نحن فلست أدرى ما يمنعنا من الحكم عليهم بديننا، حتى ليصدق فينا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ فيما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قبض الأمانة: « **حتى يُقال للرجل: ما أجلدَه ! ما أظرفَه ! ما أعقلَه! وما في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان** » (البخاري.)

الدكتور فؤاد زكريا، واحد من غلاة العلمانيين الذين يرفضون ويسخرون من

فكرة الخلافة، (ما أجلده ما أعقله !!) .. وكان قد أصيب بضربة قاصمة زلزلت قيادته الفكرية للعلمانيين بعد هزيمته هزيمة ساحقة في مناظرة مع سلطان العلماء لا عالم السلاطين فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي الذي أورد تفاصيلها في كتاب من أخطر وأهم كتبه هو كتاب « العلمانية»، وسوف نعود إلى هذا الكتاب إن شاء الله في مقال آخر.

الدكتور فؤاد زكريا هذا يعترف ويقول:

(أنها- يعني الأحزاب العلمانية في الوطن العربي - لا تكون مشروعا للنهضة وإنما تشترك في رفض المشروع الذي تقدمه الحركة الإسلامية المعاصرة، والفرق بين التيار الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني الذي يتصدى له ليس تضادا بين مشروعين وإنما هناك مشروع إسلامي من ناحية ومحاولات دفاعية لنقد هذا المشروع وبيان نقاط الضعف فيه من ناحية أخرى، وهو ليس تضادا بين أيديولوجيتين، لأن هناك من جهة أيديولوجية إسلامية وتختلف تياراتها في بعض التفاصيل ولكن الاتجاه العام والاستراتيجية البعيدة متقاربة، وهناك من جهة أخرى مجموعة من الأيديولوجيات الشديدة التباين التي لا يجمع بينها سوى رفض الحل السياسي الذي يقترحه التيار الإسلامي).

هؤلاء العلمانيون الرافضون لحكم الإسلام لا يملكون إذن وجهة نظر مغايرة .. ولم يجتمعوا إلا على رفض منهج الحكم الإسلامي .. وفي سبيلهم لذلك تورطوا في تأييد أشد أنظمة الحكم سوءا وبطشا وفسادا .. بل وانقلبوا حتى على ما ينادى معظمهم به من الأخذ بديموقراطية الغرب كمنهج، عندما أسفرت الانتخابات عن فوز المسلمين بالأغلبية الساحقة كما حدث في الجزائر، وسقط مئات الآلاف من الضحايا دون أن يحرك ذلك فيهم شعرة أو ينتفض فيهم ضمير كذلك الذي انتفض زورا وغشا وخداعا أمام صورة مزورة لطائر بحرى جلبوه من مياه بحر الشمال وألقوه في الخليج كي يتهموا العراق بقتله .. !! ..

انتفضوا لواقعة الطير المزورة ولم ينتفضوا لمصرع مئات لآلاف ..

ولم يرتفع من أصواتهم الجهورية صوت يندد بتزوير الانتخابات ضد المسلمين في بلاد أخرى .. ولا بإهدار حقوقهم .. واعتقالهم وتعذيبهم .. وقارنوا يا قراء بين موقفهم من عبدة الشيطان (حيث كل الرحمة والحفاظ على حقوق الإنسان والتماس

المعاذير وعدم نشر الأسماء تجنبا للفضيحة) وبين موقفهم من ضحايا المسلمين .. الذين يعبدون الله لا يشركون به شيئا .. قارنوا بين موقفهم من نصر حامد أبو زيد (ثلاثة تقارير من الأزهر وأحكام نهائية متعددة توجها حكم محكمة النقض تقضى جميعها بإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة) .. وموقفهم من الشهيد سيد قطب أو من الأسير عمر عبدالرحمن ..

هؤلاء العلمانيون يزايدون حتى على أسيادهم في الغرب في كراهية الإسلام وحكمه، حتى أن علمانية الغرب تسمح للمسلمين فيه بحقوق تتجاوز بكثير تلك المسموح بها في بلاد المسلمين!!.

في مثل هؤلاء العلمانيين الأشرار يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي رضى الله عنه في كتابه « ظلام من الغرب»:

« هناك مستشرقون مصريون ولدوا في بلادنا هذه، ولكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب ونمت أعوادهم مائلة إليه، فهم أبدا تبع لما جاء به .. !

إنهم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا بيد أنهم خطر على كياننا .. لأنهم كفار بالعروبة والإسلام، أعوان - عن اقتناع أو مصلحة - للحرب الباردة التي يشنها الاستعمار علينا، بعد الحرب التي مزق بها أمتنا الكبيرة خلال قرن مضى ...

وهم سفراء فوق العادة لإنجلترا، وفرنسا، وأمريكا أو دول التصريح الثلاثي الذي خلق إسرائيل وحماها. والفرق بينهم وبين السفراء الرسميين أن هؤلاء لهم تقاليد تفرض عليهم الصمت، وتصبغ حركاتهم بالأدب. أما أولئك المستشرقون السفراء فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف وفي المجالس، وأن يختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة، وليذهبوا بجزء من مهابته في النفوس ... وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاتفت فيه: الشيوعية والصهيونية والصليبية في العصر الحديث .. !

التحرير الكامل أن نجلى هذا الصنف من المستشرقين عن الحياة العامة كما أجلينا عن ضفاف القناة جيوش إنجلترا، وكما سنجلى عصابات اليهود عن أرض فلسطين - بعون الحق - جل شانه ... ! «إن هذا النفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من الأعداء السافرين، فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم ..وقد يقولون كلمات من الحق تمهيدا لألف كلمة من الباطل تجيء عقيبها.

فلنحذر هذا العدو المقنع ولنؤمن طريق نهضتنا بتجلية هذا الظلام الوافد من الغرب »

***

ولو أن الأمر قد اقتصر على هؤلاء لهان .. لكن الكارثة التي تدفع بنا للهاوية هو ذلك الحلف غير المقدس بين السلطة الباطشة وهذا النوع من أعداء الله، خاصة وأن الأمة قد مكثت فترة طويلة جدا قبل أن يكتشف بعضها طبيعة هذا التحالف الذي لم يجمعهم فيه إلا كراهية الإسلام وأهله .. تحالف خفي كتحالف العملاء والجواسيس مع عدو .. إن السياسة بأدواتها الغليظة المباشرة سرعان ما تكشف نفسها .. ولقد قام هؤلاء حتى وهم يمثلون زورا وخداعا أدوار المعارضة بدور أساسي في التعمية على الأمة ..

إن الصحوة الإسلامية التي يحاول الغرب إجهاضها بكل قوة لإدراكه خطورتها عليه، هي في الواقع أشد خطرا على هؤلاء وأولئك من خطورتها على الغرب.

يقول الشهيد عبدالقادر عودة في حديثه عن الخلافة:

« وهكذا تضافر الحكام المسلمون وبعض الفقهاء المسلمين - وكلا الفريقين أمين على مصالح الأمة - تضافروا جميعا على خيانة الأمة الإسلامية، وسلبها حقوقها التي فرضها الإسلام، فالإسلام يعطى للامة حق اختيار حكامها وعزلهم، وجعلهم بمثابة النواب عنها، ولكن الحكام وبعض الفقهاء تآمروا على الأمة الإسلامية فسلبوها كل حقوقها، وجعلوا من أفرادها عبيدا ومن الحكام سادة يأمرون فلا يرد لهم أمر ويتصرفون في حقوق الأمة ومستقبلها وأرواح أبنائها دون حسيب ولا رقيب. وقد شارك في هذه الخيانة جماهير المسلمين بسكوتهم على الباطل، ولرضاء بعضهم به، وبعدم ثورتهم عليه، فتمت بذلك المؤامرة الكبرى التي أوشكت أن تقضى على الإسلام، والتي عطلت سيره وأوقفت اندفاعه من مئات السنين، وخان المسلمون جميعهم - عن جهل أو عمد- الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وتعرض لحملها الإنسان على ما فيه من جهل وظلم (..) خان المسلمون أمانة خلافة الله في الأرض وكفروا بأنعمه عليهم فلم يقيموا أمر الله فيما بينهم ولم يهتدوا بهديه ولم ينتهوا عن نهيه (..) وخانوا أمانة الاستخلاف في الحكم بعد أن مكن الله لهم، فلم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة ولم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر (..) وارتكب المسلمون حكاما ومحكومين هذه الخيانات وقد

نهاهم الله عن خيانة الأمانات وحذرهم منها (..) .. فجزاهم الله المهانة في الأرض، وسلط عليهم أعداءهم يملكون بلادهم، ويتقاسمون أوطانهم، ويحولون بينهم وبين نعيم الحياة ونعمة الكرامة والحرية. ولقد انتهى هذا كله إلى أسوأ النهايات، فقد فسدت أداة الحكم في الدولة الإسلامية وتحولت عن غايتها التي رسمها الإسلام، وأصبحت مهمة الحكام أن يحكموا في حدود الهوى والمنفعة، وابتغاء الاستعلاء والسيطرة أو ابتغاء رضا المستعمرين، بعد أن كان واجبهم الأول أن يحكموا في حدود الإسلام ابتغاء مصلحة الجماعة وابتغاء وجه الله. وحينما انفلت الحكام من حدود الدين انقلبت الموازين في أيديهم واختلطت الأوضاع عليهم، فهم لا يميزون الطيب من الخبيث ولا يعرفون الحق من الباطل ولا يفرقون بين الضار والنافع، لأنهم يتبعون أهواءهم، ويتخذون منها آلهة (..) وترتب على فساد الحكم وخروج الحكام على حدود الدين أن ابتعد الناس عن الدين، وفسدت الأخلاق، وشاعت الفاحشة، وضعف المسلمون، وتصدعت وحدتهم، وتعددت أحزابهم واتجاهاتهم، بما اتبعوا من أهوائهم، حتى أصبحت الفوضى شعارهم، والتفرق الذي نهوا عنه يميزهم عن غيرهم، وحتى انتهوا إلى ما هم فيه من الاستعباد والذلة، يستعبدهم المستذلون ويغلبهم على أمرهم المشردون المغلولون. »

***

خان المثقفون وفقهاء السلطان دورهم ..

وأصبحت المشكلة أصعب ..

فبدلا من أن ترسم الثقافة للسياسة المعايير والقيم والمثل الأعلى، راحت السياسة، ويا ليتها سياسة سوية، ترسم للثقافة معاييرها ومثلها وقيمها الدنيا.

ولعل دستويفسكى كان يصف أمثاهم حين قال : «إذا لم يكن الله موجودا ... فكل شيء مباح» ..

نعم .. هؤلاء الذين كفروا بالله كفر ربوبية أو كفر ألوهية أو كفر أسماء وصفات .. كل شيء عندهم مباح .. إلا الإسلام .. !!

كيف يمكن أن يرفضها مسلم؟!

عندما يضيق حذاؤك عليك فإنك تخلعه ..

كذلك تفعل في الملابس فتتخلص منها إذا ضاقت أو بليت ..

بل إنك تفعل نفس الشيء مع ضرسك إن حار فيه الطبيب .. فتخلعه إن غلبك وجعه ..

لكن ..

إذا أوجعتك عينك .. هل تخلعها؟! ..

أم تحتفظ بها حتى ولو كلّ منها البصر .. حتى ولو كانت عينا ناقصة ..

إذا مرض قلبك .. هل تذهب إلى الطبيب ليستأصله؟! ..

أم أن هناك ما تستحيل الحياة أو تصور الحياة دونه، لذلك فإننا – مهما أصابه من مرض – لا نتخلى عنه أبدا بل نحاول قصارى جهدنا علاجه .. مدركين أن فشلنا في العلاج لا يعنى سوى الموت ..

***

نفس الأمر ينطبق على الخلافة ..

إنني أدرك أن بعض القراء – أرجو أن يكونوا قلة – سيفتح شدقيه ليصب اللعنات على هذا الكاتب المتخلف الرجعى الذي يريد أن يعيده القهقرى إلى جبروت وظلمات حكم الخلافة ..

توقف يا مسكين ..

توقف ..

فلقد سمموا عقلك وزيفوا وعيك وغسلوا مخك ووضعوا لك ذاكرة مزيفة مغشوشة ..

توقف فإنك مسموم .. وأنت تخرف .. فإن لم تكن تخرف فإنك تجدف ..

توقف يا مسكين .. فليس ما بك شحم بل ورم .. وليس ما تظنه حيوية الحركة

حركات بل تشنجات .. فتوقف واقرأ ..

***

في مقالات سابقة قلنا أن أحد المحظورات في الفكر الإسلامي أن نحكّم عقلنا في شرع الله .. فكيف يحكم الناقص على كامل والجزئي على كلى؟! ..

قلنا أيضا أن الشريعة ثابتة والفقه متغير ..

والآن .. هل الخلافة – أو الإمامة فالكلمتان تستعملان بذات المعنى – فقه أم شرع؟؟ ..

لقد ذهب جمهور علماء الأمة الإسلامية إلى أن إقامة الإمامة أو الخلافة الشرعية فرض أساسي من فروض الدين، بل هو (الفرض الأعظم) الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض ؛ لأنه – كما يقول الجرجاني -: (من أتم مصالح المسلمين وأعظم مقاصد الدين).

بل بلغ الأمر أن دراسة الخلافة تأتى في أبواب العقيدة والتوحيد لا في أبواب الفقه ..

***

حتى الحرب العالمية الأولى لم يكن هناك بين المسلمين في شتى أرجاء العالم مسلم يشك في وضع الخلافة في الإسلام كإمامة عظمى (مقارنة بالإمامة الصغرى في الصلاة) ..

كانوا يدركون أن الأمور تختل، وأنهم يجب أن تعود إلى النموذج المرسوم، وكانوا يعلمون أنها منذ قرون وهى خلافة ناقصة، وكان الأمل أن تعود وتكتمل .. لا أن تلغى وتهدم ..

وكما يقول أنور الجندي في كتابه أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي- دار الفضيلة:

« كان إسقاط الخلافة الإسلامية من أكبر أهداف النفوذ الأجنبي الزاحف على العالم الإسلامي وكان المخطط يرمى إلى تفكيك وحدة المسلمين وتمزيق المجتمع الإسلامي إلى وحدات متفرقة وقد عملت بريطانيا التي كانت تقود الحرب ضد الإسلام والأمة الإسلامية على رسم خطوات هذه المؤامرة التي بدأت بعزل السلطان عبدالحميد وتولى الحكم في الدولة العثمانية أعدى أعداء الإسلام: الاتحاديون الذين

رسموا الخطة بقيادة مصطفي كمال أتاتورك الذي لم يكن في أغلب كتابات المؤرخين المنصفين مسلما، بل كان من الدونمة، ووقفت بريطانيا وراء الخطة وعندما تحرك مسلمو الهند كلفت المستشرق « مرجليوث » كتابة دراسة يدعى فيها أن الخلافة ليست من الإسلام، ولما ذهب الشيخ على عبدالرازق ليدرس في بريطانيا أهداه هذا الكتاب الذي أصدره باسمه تحت عنوان (الإسلام وأصول الحكم). كان هدف الكتاب ضرب الإسلام في عقيدة من أكبر عقائده وفريضة من أعظم فرائضه وهو أنه دين ودولة ونظام ومجتمع ومن ثم فقد عبر الكتاب عن وجهة نظر الاستشراق اليهودي التلمودي الهدام وقد واجه الكتاب ومؤلفه حربا شديدة وكشف عن الزيف الذي ذهب إليه على عبدالرازق، حين ادعى أن الإسلام ليس دين شريعة ونظام مجتمع وحكم ولكنه منهج عبادي شأنه شأن المسيحية وغيرها، ولقد كذب علماء الإسلام دعوى على عبدالرازق وتكشف من بعد أن هذا الكتاب لم يكن إلا ترجمة لكتاب مرجليوث، ولقد واجهت حركة اليقظة الإسلامية كتاب على عبدالرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطاءه ولكن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات إضافية يكتبها مضللون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم ».

وكان ممن انبروا للرد على كتاب مرجليوت المنسوب إلى على عبدالرازق الدكتور السنهوري الذي قدم في رسالة للدكتوراه مشروعا يرمى إلى تطوير الخلافة كما عرضها الفقهاء. وكان من رأيه إزاء فداحة الانهيار أنه: إذا كان هناك استحالة في إقامة نظام خلافة راشدة أو كاملة فلا مناص من إقامة حكومة إسلامية غير كاملة على أساس حالة الضرورة للظروف التي يمر بها العالم الإسلامي حالياً «عام ١٩٢٥م». وأن هذا النظام الناقص يجب اعتباره نظاماً مؤقتاً لحين التمكن من إقامة النظام الراشد مع العلم بأن الشريعة لا تفرض شكلاً معيناً لنظام الحكم.

***

على إنني قبل أن أستطرد فإن علىّ أن أنوه بردود كثيرة جاءتني بالبريد الإليكتروني، والحقيقة إنني دهشت لأن معظمها يعتب علىّ في الاستشهاد والإشادة بالدكتور السنهوري، فهو من وجهة نظرهم الذي وضع الدساتير العلمانية على حساب الشرع ..

ولست أحب لنفسي ولا لكم يا قراء أن نستهلك جهدنا في جدل فرعى لن يسهم في حال صحته بتقريبنا من الحقيقة أبدا، أما في حال بطلانه فلن يسفر إلا عن صرفنا

عن هذه الحقيقة.

وبرغم إنني أحترم الدكتور السنهوري إلا إنني أومن بأن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال، وأن كل الناس عدا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يؤخذ منه ويرد عليه. ثم إنني أضيف أن ما آخذه من الدكتور السنهوري هو موقفه من الخلافة، وهو موقف صحيح. ولنا جميعا الحق في أن نرده فيما نحسب أنه أخطأ فيه. لكنني إحقاقا للحق أضيف أن الرجل كان ذا باع طويل في الدفاع عن الشريعة، وله مؤلفات عديدة في ذلك يسدل الطواغيت ستائر التعتيم عليها، وربما كان عدم الاطلاع على هذه الأعمال سببا في تشوه صورة بعض القراء عنه. كما أنه فيما وضع من دساتير حاول قدر ما استطاع أن يعيد الشريعة إلى تبوء عرشها القديم، لكنهم أخذوا منه ما يتفق مع أهوائهم وتركوا ما يتفق وشرع الله، وقرؤوا ما كتب قراءة من يقرأ: « ويل للمصلين » ثم يصمت .. !! ..

***

منهج سيادة الشريعة كان منهجا أصليا في فكر السنهوري، ولقد كان رد فعله سريعا وعمليا على سقوط الخلافة (١٩٢٤) وعلى كتاب الإسلام وأصول الحكم، حيث كان في فرنسا، وكان قد حصل بالفعل على شهادة الدكتوراه، لكنه تقدم برسالة أخرى إلى جامعة السربون عن ضرورة إعادة الخلافة .. وحصل عليها بالفعل عام ١٩٢٦، ولقد كتب هذه الرسالة بوازع ديني رغم عدم تكليفه بها وتحذير أساتذته من صعوبتها والمناخ الأوروبي السياسي والفكري المعادي لفكرتها!.

وواصل جهوده وجهاده فتقدم برسالة إلى مؤتمر «لاهاي» للقانون الدولي سنة ١٩٣٢م

أثبت بها لأساطين القانون أن الشريعة الإسلامية هي الأرقى -حتى بمقاييس العصر الحاضر-، وهي الأنفع والأوفى، إذا ما قورنت بالمنظومات القانونية الأخرى، وقد بلغ من تأثير هذه الرسالة على هذا المؤتمر الدولي أنها لفتت أنظار فقهاء القانون الغربي، إلى تميز-بل وامتياز- الشريعة الإسلامية، الأمر الذي انعكس في اعتمادهم الشريعة الإسلامية منظومة قانونية عالمية متميزة.

أحب أن أنبه القراء أيضا أن السنهوري قد اتخذ ذلك الموقف والعالم الإسلامي كله في قمة الانهيار أمام الغرب والانكسار أمام جيوشه والانبهار بحضارته .. لم تكن

الصحوة الإسلامية قد أدت بنا إلى ما وصلنا إليه الآن من إدارك للزيف والعفن في تلك الحضارة ..

***

في دراسة للدكتور محمد عمارة يوجز الأمر بقوله: «أراد السنهوري وكتب وعمل للنهضة العامة للشرق الإسلامي، ولقد قاده القانون إلى ضرورة تأسيس هذه النهضة المشرقية العامة على الشريعة الإسلامية، فكانت مخططاته ودراساته وآراؤه حول ضرورة بعث الشريعة الإسلامية بالاجتهاد الجديد والدراسات المقارنة والحديثة، تتخطى هذه الشريعة الغراء أعناق القرون، فتعود -ثانية- المرجعية الحاكمة، لا في القضاء والقانون والتشريع وإنما المرجعية الحاكمة في كل ميادين الثقافة والفكر والعلم والقيم والحياة.

«فالرابطة الإسلامية-كما يقول السنهوري- يجب أن تفهم بمعنى المدنية الإسلامية، وأساس هذه المدنية الشريعة الإسلامية ...». فالشريعة الإسلامية هي أساس المدنية الإسلامية، التي هي الصيغة الحضارية للنهضة الشرقية.

ولذلك جعل السنهوري من بعث الشريعة الإسلامية بفتح باب الاجتهاد الجديد فيها مشروع حياته، بل وحلمه في هذه الحياة.

وكتاب الدكتور السنهوري (فقه الخلافة وتطورها) كتبه منذ عام ١٩٢٦، ولم يتصد لترجمته لنشره على قراء العربية سوى ابنته (وزارات ثقافاتنا وأجهزتنا الإعلامية وصحفنا الكبرى مشغولة بقضايا أهم من الخلافة .. كقصص الجنس ومسارح العرى وروايات الكفر و .. و .. و .. ألا شاهت الوجوه) ..

يقع الكتاب فيما يقارب الأربعمائة صفحة، وفي دراسة لمحمد سيد بركة يوجز فيها اتجاه الكتاب حيث يرى الدكتور السنهوري أن الخلافة هي الحكومة الإسلامية الكاملة وأن خصائص الخلافة تتميز عن الحكومات الأخرى بالخصائص الثلاث الآتية:

١- أن اختصاصات الحكومة «الخلافة» عامة، أي تقوم على التكامل بين الشؤون الدنيوية والدينية.

٢- أن حكومة الخلافة ملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية.

٣- أن الخلافة تقوم على وَحدة العالم الإسلامي.

ومتى اجتمعت هذه الخصائص في احكومة الإسلامية أصبحت حكومة شرعية مهما يكن شكلها واستحقت أن توصف بأنها حكومة الخلافة.

***

والآن .. فلنقف وقفة قصيرة لنواجه صنفين من الناس يرفضون الخلافة ممن يحملون أسماء كأسمائنا وألسنة تنطق كألسنتنا ويدعون دينا هو ديننا .. الصنف الأول هو الغالب، وهو يتشكل من جمّ غفير وجمع كبير من ضحايا وسائل إعلام يتنافس فيها إعلام الحكام مع وسوسة الشيطان، هم الذين زيفوا وعيهم وغسلوا مخهم، فأصبح مفهوم الخلافة عندهم يعنى الظلم والظلمات، وهذا صنف ما أن يعرف الحقيقة حتى يتبعها (وهذا ما يخيف الغرب ووكلائه وعملائه أشد الخوف). أما الصنف الثاني فهم الأقنون الأخسرون لكنهم الأشد خطورة .. إنهم على وعى كامل بالحقيقة، لكنهم يبدلونها تبديلا في سبيل هدم الإسلام كله، ومن هؤلاء من يساهم في تشويه تاريخنا كله بالكذب البواح كي يصل إلى مبتغاه.

لنواجه هؤلاء وأولئك بمفهوم لخلافة .. والذي ينحصر في أمرين جوهريين تندرج تحتهما التفاصيل الأخرى ..:

- تطبيق الشريعة الإسلامية ..
- ووحدة العالم الإسلامي ..

***

ذلك هو مفهوم الخلافة .. فإن جاز أن يرفضه الشيطان وأعوانه والغرب وعملاؤه .. فكيف يمكن أن يرفضه مسلم .. ؟! ..

الله فاعل

كان ذلك الصديق، وهو أستاذ بجامعة الأزهر على الطرف الآخر من الهاتف يصرخ:

- أين راح شرفنا وكيف اختفت نخوتنا وحرصنا على الجهاد .. إننا نريد أن نجاهد في سبيل الله بشرط السلامة .. بشرط ألا نقتل ولا حتى نجرح .. وبشرط ألا يخصم للموظف منا يوم من راتبه .. وذلك لا يمكن أن يكون جهادا في سبيل الله بل خيانة لله ..

استبد بي الغضب فهتفت في ذلك الأستاذ بجامعة الأزهر: أين كنتم ؟ .. أين الناس؟؟ أين الأمة؟؟ لماذا لحقهم التشويه لماذا انتشر فيهم الوباء؟؟ لماذا انهزموا؟؟ لماذا لم ينج منهم أحد؟؟.

عندها راح الرجل يبكى ..

وجاءني سؤاله عائما فوق طوفان دموعه:

- هل يعنى ذلك أنه لا أمل ..

وقلت له أن مفردات الواقع تشى بيأس مطبق أسود لا يرى ثمة بصيص ضوء .. بإنني لا أدعى -كما يدعى السفهاء - ولا أزعم – كما يزعم الأغبياء - أن جموع لأمة بخير، بل أعترف أنها -جميعها - بشرّ، الحكام والمحكومين، النخبة والعامة، لمجنسين والبدون، الصفوة والحثالة والقضاء والجيش والشرطة والاقتصاد والصناعة والزراعة، والأزهر والحرم والأقصى، ليس ثمة عندنا ما لم يلحق به البوار ..

نخرب بيوتنا بأيدينا ...

لا منهج يقودنا ..

ولا نبراس يضئ الطريق لنا ..

ولو نظرنا إلى كل الفئات لوجدنا أن أكثر ما أساء ولوث بالعار كل فئة لم يكن الأعداء ولا الإخوة أو الأصدقاء، بل أبناء الفئة نفسها ..

فمن أساء إلى هيبة الحكم هم الحكام أنفسهم ..

ومن أساء إلى الدين رجال الدين ..

ومن أساء إلى الأزهر شيخ الأزهر .

ومن أساء الجيش هم قياداته ..

ومن أساء إلى الشرطة هم ضباطها .

ومن أساء إلى القضاء قضاة ..

ومن أساء إلى رجال النيابة رجال نيابة ومن أساء إلى المثقفين مثقفون، وإلى الصحفيين صحفيون، وإلى الكتاب كتاب، وإلى أحزاب الأعلبية أحزاب الأغلبية وإلى أحزاب المعارضة أحزاب معارضة وإلى الأمة سكوتها عن كل هذا ..

لقد افتقدنا المنهج ..

لقد كانت طريقة إدارتنا لكل شئوننا تفتقد إلى منهج، لذلك كان الفشل هائلا والكوارث فادحة ..

وجاءني – عبر الهاتف – صوت الرجل الباكى: ما العمل؟ ..

قلت له إنني لا أملك تفاصيل حل بل أملك منهجا ..

لست أملك وصفة سحرية نتجرعها في المساء فإذا بالصباح يأتى وقد انقشعت الغيوم ورحلت الهموم وانتهت الكوارث وتحولت الهزائم إلى انتصارات ..

لا أملك ذلك الحل، لكن ما لا أملكه أنا قد يملكه ٦٥ مليون مصري وأغلب الظن يملكه ٣٠٠ مليون عربي ويقينا يملكه ١٥٠٠ مليون مسلم ..

الحل في تبنِّي منهج الحضارة الإسلامية في مواجهة قضايانا ..

المنهج الشامل الكامل الذي هو أوسع من أي جماعة أو حزب لأنه يستوعب الجميع .. المنهج الذي نسيناه، والذي يتير عليه العلمانيون الغبار ويقذفون بالأوحال .. المنهج الذي يعيد إلينا الثقة بديننا .. والذي يجعل هذا الدين حتما لا مناص منه .. ليس لأن الإسلام هو الحل لمشاكل دنيانا .. بل لو لم يحل الإسلام لنا أي مشكلة من مشاكل دنيانا – وهذا افتراض غير صحيح – فليس أمامنا سواه .. وليس لنا اختيار .. المنهج الذي يجعلنا نشعر بأننا الأعلون ..

إن جهد الأمة الآن يجب أن يكرس لا لإصلاح شامل جذري يستحيل حدوثه،

بل لتحقيق توازن مبنى على قانون إلهي ربما يشبه قانون الكتلة الحرجة في الفيزياء، وهو قانون لا يتحكم فيه الكمبيوتر ولا يجرى حساباته العقل بل القلب، قانون لا يخطئ، ويقضى بأننا لو استطعنا أن نربى أمام كل ألف خائن مخلص واحد لانتصرنا ..

قلت له استخلص العبر من التاريخ منذ صفين والجمل وكربلاء حتى جماعة كوبنهاجن، عن شرفاء تدنوا، وأطهار تدنسوا، وأبطال خانوا، وأتقياء فسقوا وأسوياء انحرفوا، ومجاهدين بلغ بهم الانحراف بعد أن رفعوا لواء الثأر لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أن ادعوا النبوة- لماذا يفسد الكل ويتعفن؟- لماذا؟ .. الإجابة واضحة وجلية: افتقاد المنهج ..

قلت له تسألني عن الحل؟ .. الحل أراه بقلبي بعد أن كلت عيني .. ببصيرتي بعد أن زاغ بصرى .. الحل أمل في الله ويقين به ورجاء أن تسبق رحمته بنا عدله فينا .. وأننا مساقون سوقا إلى منهجه وإن أبينا ..

وبهذا المنهج أقول لك أيها القارئ أننا برغم كل هذا الانهيار سننهض لننتصر ..

بهذا المنهج أقرر أننا – أنا وأنت – نحن الأقل لكننا الأعز، وأننا نحن الضعفاء، المحاصرين، المعتقلين، المعذبين، الشهداء، نحن الذين ننتصر في النهاية دائما رغم كل عاء، وأن التاريخ يلقى بالآخرين في مزابله، وأن الله يفصل بيننا يوم القيامة ..

إن المستقبل غير كل تصوراتنا له، والإعجاز الإلهي في الخليقة يأبى إلا أن يكون معجزا ..

إن منهج الحضارة الغربية يعتمد على المادي المجرب المحسوس، فهو أشبه بجسد بلا روح، أما جوهر الحضارة الإسلامية فإنه يعتمد على كل ذلك مضيفا إليه قوة ودعما لا نهائيا هو قوة الروح، وهنا إذن يكمن جوهر نملكه لا يمكن أن يتمتع أعداؤنا بمثله، جوهر الإيمان بأن وعد الله حق، جوهر الإيمان، لا بالله فقط، بل بنواميس الله التي خلقها والتي تحتم دائما وأبدا انتصار الحق واندحار الشر مهما بعد المدى، ومن هذا المنظور وبهذا المنهج يجب علينا أن نقرأ التاريخ وأن نتأمل عبرته، إن خيانة الحكام والنخبة ليست بحادث طارئ، فعبر التاريخ كله كان حكامنا يخونون قضية أمتهم، تاريخ الحكام هو تاريخ الخيانة والبطش والجبروت والتزوير والكذب، إننا نقع في خطأ تفسير المستشرقين بما يكتنفه من نوايا السوء، حين نطالع تاريخ الحكام مفترضين أنه تاريخ الحقيقة، وليس إلا سلسلة من الأكاذيب لإخفاء الحقيقة، كان الحكام

يخونون، لكن الناس كانوا في نفس الوقت يصوغون حضارة شاملة ورائعة في كافة فروع العلم والدين والأدب والمعرفة والحرب، تلك الحضارة هي التي بقيت لنا وللعالم، أما الحكام فقد ذهبوا في مزابل 'التاريخ. انظروا في تاريخ البشرية منذ آدم، وتعلموا أنه يتوجب علينا ألا نرفض الشر، لأن الله هو الذي خلقه ليبلونا به، ليمتحننا، علينا إذن أن ندرك الحقيقة المعجزة في بساطتها، في بهائها، في سطوعها الذي يعمى الأبصار عن رؤيتها، أن الله فاعل في هذا الكون، لا تتجاهلوا أهم عنصر في أي صراع في هذه الدنيا، أن الله فاعل .. المادي المجرب المحسوس موجود وعلينا أن نتلمس به الأسباب لكن الله فاعل .. حسابات الحاسبات الضخمة موجودة ويجب أن تحترم ولكن الله فاعل. الله فاعل في هذا الكون، زاغت عقولنا حين تصورنا أن ارتباط الأسباب بالمسببات حقيقة مطلقة بينما هي ليست إلا مشيئة، تتوقف على الفور حين تشاء المشيئة، إن المؤمن ليس مطالبا بالقوة كلها بل بما يستطيع منها، وأنه حين يتجرد ويخلص، فثمة قانون أشبه بقانون الفيزياء الذي يتحكم بالكتلة الحرجة التي يتحقق بعدها الانفجار النووي، لقد طبق القانون الذي يقضي بأنه حينما يكتمل قدر معين من التجرد والإخلاص، يأتي نصر الله الموعود ليقلب كل موازين القوى.

انظروا إلى بدر، انظروا إلى غزوة الخندق، انظروا إلى الحروب الصليبية، انظروا إلى الحرب العالمية في حطين حين خرج صلاح الدين من مصر بجيش قوامه اثنا عشر ألفا ليواجه مئات الآلاف من جيوش الصليبيين، ولينتصر، بالقانون الإلهي الذي لا ندرك كنهه، انظروا إلى ما حدث أيامها عندما حند ملك الألمان جيشا جرارا من ثلاثمائة ألف مقاتل لينجد به الصليبيين وليقضي على المشكلة من جذورها باحتلال مكة والمدينة، وبدأ الجيش الجرار زحفه، تخيلو' لو أن هذا الجيش وصل إلى ساحة الحرب ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة؟ .. كيف كان يمكن أن يكون تأثيره على الجغرافيا والتاريخ ؟ هل تعرفون ماذا حدث لهذا الجيش؟ حدث أن الله فاعل، أن الله غالب على أمره، لقد نشبت الصراعات بين الجيش واستحر القتل، ثم غرق الإمبراطور وهو يستحم في ترعة صغيرة فخلفه ابنه، ثم فشت الأوبئة فمات الابن أيضا، فهل تعلمون كم وصل من الجيش الجرار إلى ساحة الحرب في فلسطين؟ ألف -- ألف فقط -- منهكين متعبين مهزومين، الله فاعل، الله فاعل، انظروا إلى صراع الخير والشر منذ آدم، لو اتبعنا قواعد التفكير العلمي بمنطق أهل الأرض، بالمادي المجرب المحسوس وبأدق وأضخم الحاسبات، لانتهى الخير بالهزيمة الماحقة بعد بضع عشرات أو مئات

من السنين من بداية البشرية، لكن الله فاعل، ألق البذرة في الأرض كيفما شئت لكنها ستنبت في اتجاه الشمس، اقلبها، سيستدير الساق نحو الشمس، الله فاعل .. انظروا إلى تلك النسبة المعجزة في الإنسان والحيوان والنبات بين الذكور والإناث وملاءمة ذلك لكل جنس منها، وانظروا إلى زيادة نسبة المواليد الذكور بعد الحروب الكبرى حين يهلك كثير من الرجال، الله فاعل، وثمة قوة لا ندريها ولا ندرك كنهها لكننا نؤمن بها هي التي تحدد النهايات والمصائر، الله فاعل، لكن خطيئتنا الكبرى أننا - خاصة بمفهوم الحضارة الغربية - نعطى العقل أكثر مما يستحق، وليس العقل إلا بعضا من الإنسان قدراته محدودة ومحكومة بوسائل الجسد في تحصيل المعارف، لقد خلقنا الله ثم أعطانا من العقل ما نحتاج فعلا إليه، ما ندرك به النسبي لا المطلق، الناقص لا الكامل، والعقل يشبه حقيبة جراح تحوى من الآلات ما يمكنه من إجراء عمليات محددة، لا يمكنه أداء سواها، وعدم استعماله فيما خلق من أجله حماقة واستعماله فيما لم يخلق من أجله جنون، تماما كما أن الله قد خلق لنا قدمين نسير عليهما، فإن من يتوقف عن استعمالهما أحمق ستدفع حماقته بقدميه إلى الضمور، أما من يحاول استعمالهما للسير بهما على السحاب فهو مجنون ثم إنه لا محالة هالك، الله فاعل، والعقل البشرى محدود، فإذا كنا نؤمن بكل ذلك فلماذا نستبدل المنهج الأرضي بالمنهج الإلهي؟ .. وكيف بعد ذلك ننتظر الفلاح والنجاح؟ ..

الله فاعل، انظروا إلى صراع الخير والشر من الأزل إلى الأبد، لقد كان المدافعون عن الخير دائما هم الأقلون، هم المستضعفون في الأرض، كان عددهم في كل بقعة من بقاع الأرض لا يتجاوز العشرات إزاء الآلاف، أو الآلاف إزاء الملايين، لكنهم هم الذين انتصروا دائما، لو أخضعتم التاريخ لمقاييس العقل الأرضي لما بقى في الأرض خير، واحد في الألف هم الذين رفعوا الراية دائما عبر التاريخ وسلموها من جيل إلى جيل، واحد في الألف أظهر الله دائما إلى أيديهم وقلوبهم نوره، واحد في الألف هم الذين أصروا دائما على ألا يستسلموا، ولقد كان الحكام دائما في الجانب الآخر، عدا استثناءات نادرة سجلها التاريخ واحتفي بها أيما احتفاء، واحد في الألف، هم الذين أدركوا أنهم جند الله في الأرض وأنهم هم الوارثون، ليست خيانة الحكام والنخبة اكتشافا جديدا، ومع ذلك، هم الذين يذهبون ملعونين - في أغلب الأحوال - حتى نهاية الزمان ونحن الذين نبقى، نحن المستضعفين، ولست أدعى أننا كنا على الحق دائما، لكننا حاولنا طول الوقت فكنا الخطاءين التوابين، نحن الذين بقينا، نحن الذين

ذبحنا وقتلنا وعذبنا وحرّقنا وصلبنا وسجنا وهزمنا وتُقُوُّبت علينا الأقاويل وزيف ضدنا التاريخ، هم ذهبوا ونحن بقينا، لأنهم أطفئوا نور الله فيهم فلم يبق فيهم إلا الوجود الحيواني الذي لا يترك خلفه بعد الموت إلا نتن الجيف، نحن، نحن المستضعفين منّ الله علينا فأدركنا أننا حملة راية نور تنتقل من جيل إلى جيل، أدركنا أننا نحملها كأمانة تعهدنا بها قبل أن نولد بملايين السنين لنوصلها إلى بعد أن نموت بملايين السنين، كي نقف أمام الله يوم الحساب يباهي بنا نبينا عليه الصلاة والسلام الأمم، نقف منتصرين خالدين لا نموت، ليس يضيرنا إذن أن يسقط منا فرد أو مليون فرد، فنحن نحارب من أجل قضية خلق ووجود وكون لا يحده زمن ولا وطن ولا جيل ولا فرد، قضيتنا مستمرة استمرار الوجود، ولأننا واثقون أن رايتنا هي التي تصل، فلا محل عندنا لليأس ولا انتظار للنصر، لأننا منتصرون ونحن محاصرون، منتصرون ونحن نقصف بالصواريخ أو نعدم بالرصاص، منتصرون معلقين على المشانق، منتصرون مصلوبين، منتصرون لحظة اتخاذ الموقف لا لحظة النتيجة الأرضية، منتصرون حين انتصرنا في الجهاد الأكبر على نفوسنا فتوقفت ذواتنا عن التضخم، توقف كل واحد منا عن اعتبار نفسه مركز الكون وأن موته هو نهاية الدنيا، توقفنا عن انتظار جنى ثمار جهادنا في حياتنا، نحن نحارب اليوم كي ننتصر بعد ألف عام، تماما كما حارب الحسين كي ينفي الشرعية عمن اغتصب الحكم رغما عن المسلمين، ولو أنه استسلم لحل لكل غاصب غصيبته.

قولوا لي من انتصر، يزيد أم الحسين؟، انظروا، لتدركوا أن جهادنا نحن هو الذي يبقى في قلوب الناس وأن كلامهم زبد يذهب في الأرض جفاء. نحن خسرنا الدنيا فلا نطيق أن نفقد من الآخرة شيئا وهم فقدوا الآخرة فلا يطيقون أن يخسروا من الدنيا شيئا، وما خسرنا الدنيا لقلة حيلة لكننا أدركنا أنها لهو ومتاع الغرور، أنها جيفة، ولولا هوانها إلى الله ما رزق فيها كافر بشربة ماء، لذلك استعصت قلوبنا عليها، لا لزهدنا، بل لطمعنا فيما هو خير وأبقى. فإذا كانت الدنيا جيفة فما موقع التاريخ الكذوب من الجيفة وما قدر حكام خانوا فيها. انظروا إلى سر الإعجاز الإلهي في خلقه .. إن الواحد في الألف هو الذي يحدد مسار التاريخ، وهو برغم الأغلبية الكاسحة يتطور باستمرار إلى أمام، إنهم دائما يعرقلون التطور، يؤخرونه، لكن مشيئة الله هي التي تنفذ على أيدينا في النهاية، هذا الواحد في الألف لم يخبرنا به حساب ولا تجربة ولا جهاز كمبيوتر بل أنبأنا به الله حين أخبرنا أنه يأمر آدم يوم القيامة أن يأتيه

بحصاد جهنم فيأتيه من كل ألف بتسعمائة وتسعة وتسعين، الواحد في الألف إذن هي الكتلة الحرجة التي يحدث بعدها الانتصار، فهل نعجز كأمة أن نربى من كل ألف واحدا وأن يثبت هذا الواحد وهو على يقين من نصر الله ..

إننا الآن في الزمن الذي أخبرنا به الرسول ﷺ، الزمن الذي يخرج فيه الناس من دين الله أفواجا، زمن العولمة، فهل تعجزين يا أمة الإسلام أن تعطى من كل ألف واحدا فقط ؟ أجل، فليثبت منا من كل ألف واحد، وسيكون لنا النصر ...

أرأيت أيها القارئ كيف يمكن أن يغير المنهج من نظرتنا للأمر، لسنا مطالبين إذن بالمستحيل، ولا مطالبين بما قد يؤدى إلى مجازر الشعوب والحروب الأهلية، مطالبون فقط بما نقدر ونستطيع، فليكن في الحاشية والجيش والشرطة والقضاة والنيابة والمجتمع كله صالح واحد بين ألف طالح، وسينتصر الواحد الصالح لكن هذا الصالح عليه ألا يخشى إلا الله، أن يعبد الله حقا ويعرفه حقا ويجاهد في سبيله حقا .. إن الآخرين يعرفون عن قوانا الكامنة أكثر بكثير مما نعرف، لكن الجهل والخيانة يحاصراننا، وعلى سبيل المثال فما أكثر ما كتب عن كتاب صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ما أكثر ما كتب عنه، لقد قدمه البعض للقارئ كما لو كان كتابا لا يأتيه باطل، ومع ذلك لم يذكر أحد أن رأى المؤلف: « صمويل هنتنجتون » فينا أفضل من رأينا في أنفسنا، يقول الكاتب: « طالما أن الإسلام يظل - وسيظل - كما هو الإسلام، والغرب يظل -وهذا غير مؤكد - كما هو الغرب، فإن الصراع الكبير بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر » ..

أجل .. مهما كانت كثافة الظلام في الحاضر، ومهما كانت حسابات العقل متشائمة، فإنه لا ينبغي أن نيأس من المستقبل فثمة وجه آخر للأمر علينا ألا نغفله، ذلك أن التطور البشرى كله مبنى على اكتشاف خطأ ما ظنناه حقائق راسخة لا يتطرق الشك إليها، إن حساباتهم الآن أننا نحتضر .. حسابات صبيان زويمر وتلاميذ دنوب وجنود كرومر وجماعة كوبنهاجن أيضا تقول ذلك ..

فهل نستيئس؟! ..

لا .. لا يحق لنا نحن مهما صادفنا من إحباط أو نكران أو فشل أن نيأس، فنحن لا نجاهد من أجل قضية شخصية ولا من أجل مجد أرضى، قضيتنا هي إعلاء كلمة الله، ومتى قضية محسومة، نحن على الحق، من يسقط منا فاز، ومن يستمر يفوز والقضية في

كل الأحوال مستمرة. حتى الأخطاء والهزائم، يوظفها الله لنا كي تكون جنودا لنا، وانظروا في عصرنا الحديث إلى تصرفات بعض دولنا، لقد كان تصرفها ضد مصلحة الأمة كي تثور في الضمائر الآن تساؤلات عن شرعية وجودها، هذه التساؤلات المثارة اليوم سوف تنفجر غدا، وسوف تغير الجغرافيا والتاريخ، انظروا مثلا إلى الأزهر عندما نسى دوره ليدعم السلطان، عندما راح يقارن كامب ديفيد بالحديبية، لقد انصرفت الأمة عنه، عزلته كي توقف تأثيره الضار على وجدانها، وحل محل الأزهر خطباء مساجد نصف ما يقولونه من أحاديث هي أحاديث موضوعة، وبرغم ذلك فبجهل الجهلاء لا بعلم العلماء احتفظت الأمة بتوجهها الصحيح، تماما كما يحافظ الصدأ على تماسك هيكل معدني ضخم لو أزلت منه الصدأ لانهار، فانظروا فيوض الكرم حين ينصرنا بضعفنا ويحفظ عقلنا بجهلنا، انظروا أيضا إلى البوسنة، لقد كانت محاولة استئصال شأفة الإسلام هي نفسها الطريق إلى انبثاق أول دولة إسلامية في أوروبا الحديثة. اقرؤوا كتاب: الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان، اقرؤوه لتدركوا أن الله سوف يسبب لكم الأسباب .. انظروا وأيقنوا إذن بالنصر، واعلموا أن مأساة البشرية ليست في الموت بل في الخلد، وما الموت سوى عرض عابر، لقد كنا أحياء قبل أن نولد، وسنحيا بعد أن نموت ثم نبعث ثم لا نموت أبدا، وإننا عندما نبدأ الطريق ندرك أن إخوة وأبناء لنا سوف يكملون ما بدأنا، ما لراية ترفع مشيئة الله أن تسقط فأبدا لا تستيئسوا، بعون الله سوف ننجح، سنوقف التعذيب وسنمنع التزوير وسنقضي على الفساد وسنوحد الأمة وسنحارب إسرائيل كافة كما أمرنا الله - لا لكي نعيدها إلى حدود ٦٧ بل حتى نزيلها من الوجود- ..

لو أن إنسانا شريفا وعدك وعدا فإن وعد الحر دين عليه ولو أن جلالة ملك أو فخامة رئيس أو سمو أمير أو معالي شيخ وعد وعدا فإن وعده أمر .. أما إذا وعدنا الله نفسه فإن وعده قضاء لا رد له ومجرد الشك في حدوثه معصية نبرأ إليه منها

لقد فشلت الدول، وفشلت الأحزاب وفشلت التجمعات لكننا نحن كأفراد سننجح ..

نحن شتلات الزمن الآتي، نحن الذين سنحافظ بإذن الله على اليقين في قلوبنا كي نمنحه لمن يأتي بعدنا، نحن جيش الله، وعلى كل فرد منا أن يدرك أنه يحارب وحده وأنه جيش وحده وأن وعد الله حق ونصره قريب ..

علينا أن نحافظ على أنفسنا، على مبادئنا وقيمنا وأفكارنا كي لا يصيبنا البوار والعفن الذي أصاب الذين من حولنا ..

علينا أن نناضل ونكافح وأن نستعد للاستشهاد في كل لحظة، فما أقل عددنا وما أكثر أعداءنا ..

علينا أن نفعل كل ذلك بحب وبثقة ويقين فنحن جنود، أوصانا قائدنا بمهمة، وعلينا القيام بها، حتى لو متنا في الطريق، فالقائد يعلم، وقد كان قادرا على أن ينفذ مهمته بقدرته دون تكليف لنا، لكن التكليف امتحان لنا، ليس من حقنا نحن الجنود أن نسأل القائد لماذا يفعل ما يفعل، فكوننا لا نقرأ إلا صفحة من كتاب الوجود ثم نذهب يحتم علينا بعدم اكتمال المعرفة ألا نسأل أو نعجب أو نعترض، ثم إنه سبحانه ما ضنّ علينا بوعد النصر، إن الإيمان الأكمل كان يقتضى منا أن ننفذ ما كلفنا به حتى دون وعد، لكنه سبحانه رحم الضعفاء فينا، نحن لا نصل إلى الغايات بل نتبع الوسائل، وفي وسائلنا ينبغي أن نكون دائما كما أمرنا، ولا عذر لنا، تحت أي ظرف من الظروف، في أن نتخلى عن نبلنا وشرفنا، ولا أن ننسى أبدا أننا خير أمة أخرجت للناس ..

كتب للمؤلف

اغتيال أمة- طبعة أولى	١٩٨٧	سياسي	مكتبة مدبولي
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولي
مباحث أمن الوطن – صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	قصص قصيرة	مكتبة مدبولي
اغتيال أمة –طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسي	مكتبة مدبولي
قصر العيني	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولي
من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسي	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	قصص	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مدبولي الصغير
أنى أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسي	مكتبة مدبولي
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسي	مدبولي الصغير
الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة	٢٠٠١	سياسي	مكتبة مدبولي
بل هي حرب على الإسلام	٢٠٠٢	سياسي	مكتبة مدبولي
الإخوان المسلمون (جزآن)	٢٠٠٨	سياسي- تاريخي	المختار الإسلامي
غزة .. عروس عروبتكم	٢٠٠٩	سياسي	مكتبة جزيرة الورد